(الإِدَارَةُ) عِلْمٌ، وَفَنٌّ!!

(الإِدَارَة) عِلْمٌ وَ.. فَنٌّ!!

فَمَا مَعْنَى (العِلْم)؟ .. وَمَا مَعْنَى (الفَنِّ)؟

❁ (العِلْمُ) هُوَ: نَقِيضُ الجَهْلِ، وَالعِلْمُ بِالشَّيْءِ: الشُّعُورُ بِهِ، وَمَعْرِفَتُهُ.

وَقَالَ أَهْلُ العِلْمِ وَالنَّظَرِ: "حَدُّ العِلْمِ: التَّبَيِّنُ وَإِدْرَاكُ[1] المَعْلُومِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَمَنْ بَانَ لَهُ الشَّيْءُ فَقَدْ عَلِمَهُ".

فَـ(حَدُّ العِلْمِ): مَا اسْتَيْقَنْتَهُ وَتَبَيَّنْتَهُ، وَكُلُّ مَنِ اسْتَيْقَنَ شَيْئًا وَتَبَيَّنَهُ؛ فَقَدْ عَلِمَهُ، وَعَلَى هَذَا مَنْ لَمْ يَسْتَيْقِنُ الشَّيْءَ وَقَالَ بِهِ تَقْلِيدًا؛ فَلَمْ يَعْلَمْهُ.

فَـ(العِلْمُ) هُوَ مَعْرِفَةُ الحَقِّ بِدَلِيلِهِ. وَحَقِيقَةُ العِلْمِ مَعْرِفَةُ المَعْلُومِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ.

وَكُلُّ مَنِ اعْتَقَدَ شَيْئًا عَلَى مَا هُوَ بِهِ وَلَمْ يَتَخَالَجْهُ شَكٌّ فِيهِ؛ فَهُوَ عَالِمٌ بِهِ.

فَـ(العِلْمُ) هُوَ: (الاعْتِقَادُ الجَازِمُ المُطَابِقُ لِلْوَاقِعِ الثَّابِتُ، وَحُصُولُ صُورَةِ الشَّيْءِ فِي العَقْلِ).

زَادَ بَعْضُهُمْ: (... لِمُوجِبٍ قَطْعِيٍّ). وَهُوَ يُمَثِّلُ اليَقِينَ وَالحُكْمَ الجَازِمَ غَيْرَ القَابِلِ لِلتَّشْكِيكِ.

فَـ(العِلْمُ) هُوَ مَبْدَأُ المَعْرِفَةِ، وَعَكْسُهُ (الجَهْلُ).

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: الإِدْرَاكُ التَّصْدِيقِيُّ (إِدْرَاكُ المُرَكَّبَاتِ وَالكُلِّيَّاتِ).

وَسِيلَتُهُ: المَلَكَةُ أَوِ العَقْلُ (يَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِهَا إِدْرَاكَ الأَحْكَامِ الجُزْئِيَّةِ).

---

(١) (الإِدْرَاك) مُصْطَلَحٌ عَصَبِيٌّ نَفْسِيٌّ يُسْتَخْدَمُ فِي مَجَالَيْنِ:

- (إِدْرَاك حِسِّيّ): بِمَعْنَى مَعْرِفَةِ وَتَحْلِيلِ مَا تُقَدِّمُهُ الحَوَاسُ لِلإِنْسَانِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ.

- (إِدْرَاك) أَوِ (اسْتِعْرَاف)، وَيَتَنَاوَلُ العَمَلِيَّاتِ العَقْلِيَّةَ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الوَعْيِ وَالمَعْرِفَةِ.

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ مَا يُسَمَّى: (إِدْرَاك الزَّمَنِ) أَيْ: اللِّحَاق بِالزَّمَنِ.

وَ(العِلْمُ) هُوَ: كُلُّ نَوْعٍ مِنَ المَعَارِفِ أَوِ التَّطْبِيقَاتِ.

وَ(العِلْمُ) هُوَ: مَجْمُوعُ مَسَائِل وَأُصُول كُلِّيَّةٍ تَدُورُ حَوْلَ مَوْضُوعٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مُحَدَّدَةٍ وَتُعَالَجُ بِمَنْهَجٍ مُعَيَّنٍ، وَيَنْتَهِي إِلَى النَّظَرِيَّاتِ وَالقَوَانِين.

وَهُوَ: مَنْظُومَةٌ مِنَ المَعَارِفِ المُتَنَاسِقَةِ الَّتِي يُعْتَمَدُ فِي تَحْصِيلِهَا عَلَى المَنْهَجِ العِلْمِيِّ دُونَ سِوَاهُ، أَوْ مَجْمُوعَةُ المَفَاهِيمِ المُتَرَابِطَةِ الَّتِي نَبْحَثُ عَنْهَا وَنَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا بِوَاسِطَةِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

وَ(العِلْمُ)[1] -بِتَعْرِيفِهِ الحَدِيثِ- يُطْلَقُ عَلَى طَرِيقَةِ التَّفْكِيرِ العِلْمِيَّةِ (مُشَاهَدَةٍ، فَرْضِيَّةٍ، تَجْرُبَةٍ، صِيَاغَةٍ)، وَالمَنْظُومَةُ الفِكْرِيَّةُ الَّتِي تَنْتُجُ عَنْهَا؛ وَتَشْتَمِلُ عَلَى مَجْمُوعَةِ الفَرْضِيَّاتِ وَالنَّظَرِيَّاتِ وَالقَوَانِينِ وَالِاكْتِشَافَاتِ المُتَّسِقَةِ وَالمُتَنَاسِقَةِ، الَّتِي تَصِفُ الطَّبِيعَةَ، وَتَسْعَى لِبُلُوغِ حَقِيقَةِ الأَشْيَاءِ.

وَالكَلِمَةُ المُقَابِلَةُ لِلْعِلْمِ -بِهَذَا التَّعْرِيفِ- فِي الإِنْجِلِيزِيَّةِ؛ هِيَ: (سَايِنْس Science) مُشْتَقَّةٌ مِنْ كَلِمَةِ (Scientia) اللَّاتِينِيَّةِ وَتَعْنِي (المَعْرِفَة Knowledge) وَتَحْمِلُ أَيْضًا نَفْسَ المَعْنَى.

❁❁❁❁❁

• وَيَتَضَمَّنُ (**العِلْمُ**) ثَلَاثَةُ مُكَوِّنَاتٍ رَئِيسَةٌ؛ وهِيَ:

١. العَمَلِيَّاتُ؛ وَتَتَضَمَّنُ الطُّرُقَ وَالأَسَالِيبَ وَالوَسَائِلَ الَّتِي يَتَّبِعُهَا العُلَمَاءُ فِي التَّوَصُّلِ إِلَى نَتَائِجِ العِلْمِ؛ مِثْل التَّجْرُبَةِ العِلْمِيَّةِ.

٢. الأَخْلَاقِيَّاتُ؛ وَتَتَضَمَّنُ مَجْمُوعَةَ المَعَايِيرِ وَالضَّوَابِطِ الَّتِي تَحْكُمُ المُنَشِّطَ العِلْمِيَّ، وَكَذَلِكَ مَجْمُوعَةَ الخَصَائِصِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا العُلَمَاءُ. وَتُسَمَّى بِنْيَةُ العِلْمِ.

---

(١) بِخِلَافِ: "الفَلْسَفَة" وَهِيَ كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ؛ أَصْلُهَا "فِيلُوسُوفْيَا" (بالإِغْرِيقِيَّةِ: φιλοσοφία)؛ وَتَفْسِيرُهَا: مَحَبَّةُ الحِكْمَةِ. وَهِيَ تُحَاوِلُ الإِجَابَةَ عَنِ الأَسْئِلَةِ الأَسَاسِيَّةِ الَّتِي يَطْرَحُهَا الوُجُودُ وَالكَوْنُ.

٣. النَّتَائِجُ؛ وَتَتَضَمَّنُ الحَقَائِقَ وَالمَفَاهِيمَ وَالقَوَانِينَ وَالنَّظَرِيَّاتِ الَّتِي تَمَّ التَّوَصُّلُ إِلَيْهَا فِي نِهَايَةِ العِلْمِ.

❁❁❁❁❁

وَ(**الجَهْلُ**): تَصَوُّرُ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ. فَـ(الجَهْل) يُقَابِلُ (العِلْمَ).

وَ(الجَهْلُ) عَلَى قِسْمَيْنِ:

(جَهْلٌ بَسِيطٌ): وَهُوَ عَدَمُ العِلْمِ بِالشَّيْءِ الغَائِبِ، وَهُوَ انْتِفَاءُ إِدْرَاكِ الشَّيْءِ بِالْكُلِّيَّةِ؛ كَالجَهْلِ بِمَا فِي البِحَارِ مِنَ الحَيَوَانَاتِ وَمَا تَحْتَ الأَرَضِينَ وَمَا فِي غَدٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَـ(الجَهْلُ) فِي هَذِهِ الأَشْيَاءِ وَاحِدٌ؛ وَلِهَذَا قِيلَ لَهُ: (جَهْلٌ بَسِيطٌ).

وَ(جَهْل مُرَكَّبٌ)؛ وَهُوَ تَصَوُّرُ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ.

فَهَذَا جَهْلٌ مُرَكَّبٌ مِنْ جُزْأَيْنِ: أَحَدِهِمَا: عَدَمُ العِلْمِ. وَالثَّانِي: اعْتِقَادٌ غَيْرُ مُطَابِقٍ.

وَ(الاعْتِقَادُ الْفَاسِدُ) مِنْ حَيْثُ حَقِيقَتُهُ: تَصَوُّرُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِ هَيْئَتِهِ. وَمِنْ حَيْثُ تَسْمِيَتُهُ: هُوَ (الجَهْلُ المُرَكَّبُ)؛ لأَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ عَدَمِ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ، وَمِنَ الاعْتِقَادِ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِمَا فِي الخَارِجِ.

وَ(العِلْمُ) يَقُومُ عَلَى المُلاَحَظَةِ وَالتَّجْرُبَةِ وَاسْتِنْبَاطِ النَّتَائِجِ.

❁❁❁❁❁

❁ أَمَّا (**الفَنُّ**)؛ فَهُنَاكَ شِبْهُ إِجْمَاعٍ فِي أَغْلَبِ لُغَاتِ العَالَمِ عَلَى المَعْنَى الِاشْتِقَاقِيِّ لِكَلِمَةِ (فَنّ)، وَفِي المُجْمَلِ يُحَدَّدُ (الفَنُّ) بِأَنَّهُ العَمَلُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِالصَّنْعَةِ وَالمَهَارَةِ.

فَـ(الفَنُّ): وَاحِدُ (الفُنُون) وَ(أَفْنَانٌ)، وَ(أَفَانِينُ)؛ وَهِيَ: الأَنْوَاعُ، وَأَفَانِينُ الكَلَامِ: أَسَالِيبُهُ وَأَجْنَاسُهُ وَطُرُقُهُ. وَفُنُونُ الشِّعْرِ؛ أَيْ: أَنْوَاعُهُ وَأَبْوَابُهُ. وَفُنُونُ القَوْلِ؛ هِيَ أَنْوَاعُهُ. وَ(الفَنُّ): الحَالُ. وَ(الفَنُّ): الضَّرْبُ مِنَ الشَّيْءِ. وَتَفَنَّنَ الشَّيْءُ تَفَنُّنًا: تَنَوَّعَتْ فُنُونُهُ.

وَرُبَّمَا تُوُسِّعَ فِيهِ فَأُطْلِقَ عَلَى الصِّنَاعَةِ وَالعِلْمِ، وَعَلَى قِسْمٍ مِنَ المَقَالَةِ.

وَافْتَنَّ الرَّجُلُ فِي حَدِيثِهِ وَفِي خُطْبَتِهِ: إِذَا جَاءَ بِالأَفَانِينَ.

وَالرَّجُلُ يُفَنِّنُ الكَلَامَ؛ أَي: يَشْتَقُّ فِي فَنٍّ بَعْدَ فَنٍّ، وَرَجُلٌ مِفَنٌّ يَأْتِي بِالعَجَائِبِ.

وَ(فَنَّ فُلَانٌ فَنًّا): كَثُرَ تَفَنُّنُهُ فِي الأُمُورِ، فَهُوَ (مِفَنٌّ).

وَ(الفَنِّيُّ): الحَاذِقُ فِي حِرْفَتِهِ.

وَ(الفَنُّ)؛ هُوَ: تَعْبِيرُ الْفَنَّانِ عَنْ إِبْدَاعِهِ فِي مَجَالِ تَخَصُّصِهِ، وَالِارْتِقَاءُ بِهِ إِلَى نَمَاذِجَ فَنِّيَّةٍ مُكْتَمِلَةِ الْبِنَاءِ وَالجَمَالِ.

وَ(الفِنُّ): القَادِرُ؛ يُقَالُ: هُوَ فِنُّ عُلُومٍ؛ أَيْ: هُوَ يُحْسِنُ تَحْصِيلَهَا وَالنُّهُوضَ بِهَا.

فَنَّ يَفَنُّ اِفْنَنْ ويَفِنُّ اِفْنِنْ، أَوْ: فِنَّ فَنًا: كَثُرَ تَفَنُّنُهُ فِي الأُمُورِ.

وَ(الفَنَّانُ): الحِمَارُ الوَحْشِيُّ الَّذِي يَأْتِي بِفُنُونٍ مِنَ العَدْوِ [لِتَفَنُّنِهِ فِي العَدْوِ]؛ قَالَ الأَعْشَى:

وَإِنْ يَكُ تَقْرِيبٌ مِنَ الشَّدِّ غَالَهَا بَمِيْعَةِ فَنَّانِ الأَجَارِيِّ[1]، مُجْذِمِ

وَ(الفَنَّانُ): صَاحِبُ المَوْهِبَةِ الفَنِّيَّةِ؛ كَالشَّاعِرِ وَالكَاتِبِ، وَالمُوسِيقِيِّ وَ...؛ وَهُوَ مُبَالَغَةٌ مِنْ: فَنَّ.

وَ(الفَنُّ) يَنْطَوِي عَلَى (تِقْنِيَّات) أَوْ (مُمَارَسَاتٍ عَمَلِيَّةٍ)، وَلِهَذَا نَسْمَعُ عِبَارَاتٍ مِثْل عِبَارَةِ (الجَانِبِ الفَنِّيِّ).

وَ(الفَنُّ لِلْفَنِّ)؛ هُوَ مَبْدَأٌ يَرَى أَنَّ قِيمَةَ الفَنِّ فِي ذَاتِهِ.

وَ(الفَنُّ لِلْمُجْتَمَعِ)؛ هُوَ مَبْدَأٌ يَرَى أَنَّ قِيمَةَ الفَنِّ بِمَا يُقَدِّمُ لِلْمُجْتَمَعِ مِنْ نَفْعٍ.

فَـ(الفَنُّ)؛ هُوَ: مَهَارَةٌ تَعْتَمِدُ عَلَى المَوْهِبَةِ وَالذَّوْقِ وَالمِرَانِ.

وَهُوَ: التَّطْبِيقُ العَمَلِيُّ لِلنَّظَرِيَّاتِ العِلْمِيَّةِ بِالوَسَائِلِ الَّتِي تُحَقِّقُهَا، وَيُكْتَسَبُ بِالدِّرَاسَةِ وَالمَرَانَةِ.

وَهُوَ: جُمْلَةُ القَوَاعِدِ الخَاصَّةِ بِحِرْفَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ.

---

(١) وَالأَجَارِيُّ: ضُرُوبٌ مِنْ جَرْيِهِ، وَاحِدُهَا: إِجْرِيًّا.

وَهُوَ: مَهَارَةٌ يَحْكُمُهَا الذَّوْقُ وَالمَوَاهِبُ، وَيَرْتَكِزُ عَلَى القُدْرَةِ الذَاتِيَّةِ.

وَهُوَ: جُمْلَةُ الوَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا الإِنْسَانُ لِإِثَارَةِ المَشَاعِرِ وَالعَوَاطِفِ؛ وَبِخَاصَّةٍ عَاطِفَةِ الجَمَالِ وَالتَّعْبِيرِ عَنْهَا بِوَسَاطَةِ الخُطُوطِ أَوِ الأَلْوَانِ أَوِ الحَرَكَاتِ أَوِ الأَصْوَاتِ أَوِ الأَلْفَاظِ.

- وَهُنَاكَ اتِّفَاقٌ أَيْضًا عَلَى تَحْدِيدِ (الفَنِّ) بِأَنَّهُ:

مَجْمُوعُ الطُّرُقِ أَوِ الوَسَائِلِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ لِلْوُصُولِ إِلَى نَتِيجَةٍ مُعَيَّنَةٍ حَسَبَ أُصُولٍ مُعَيَّنَةٍ.

وَهُنَاكَ تَحْدِيدٌ آخَرُ يَقُولُ بِأَنَّ (الفَنَّ)؛ هُوَ:

إِنْتَاجٌ جَمَالِيٌّ يُنْتِجُهُ الإِنْسَانُ الوَاعِي وَيُضِيفُهُ إِلَى الطَّبِيعَةِ.

فَـ(الفَنُّ) يُقْصَدُ بِهِ المَهَارَةَ فِي أَدَاءِ عَمَلٍ مَا، وَهُوَ يَرْتَكِزُ عَلَى: (المَوَاهِبِ الفَرْدِيَّةِ) لِلإِنْسَانِ، وَاسْتِعْدَادِهِ الفِطْرِيِّ لِلإِبْدَاعِ.

فَهُوَ يُطْلَقُ عَلَى مَا يُسَاوِي الصَّنْعَةَ، فَمِنْ تَعَارِيفِهِ: العَمَلُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِالصَّنْعَةِ وَالمَهَارَةِ.

❁❁❁❁❁

❁ وَهُنَاكَ فُرُوقٌ بَيْنَ (العِلْمِ) وَ(الفَنِّ):

- مِنْ حَيْثُ (الأَدَاة):

فَـ(العِلْمُ) أَدَاتُهُ: المَلَكَةُ أَوِ العَقْلُ (وَهُوَ وَاحِدٌ لَدَى جَمِيعِ البَشَرِ. وَمَوْضِعُ اتِّفَاقٍ فِي النَّتَائِجِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا).

أَمَّا وَسِيلَةُ (الفَنِّ): الوِجْدَانُ (وَهُوَ مُتَعَدِّدٌ وَمُتَغَيِّرٌ بِتَعَدُّدِ وَتَغَيُّرِ المُسْتَعْمِلِ).

- مِنْ حَيْثُ (الغَايَات):

غَايَةُ (العِلْمِ): المَنْفَعَةُ وَالمَعْرِفَةُ وَالتَّعْمِيمُ.

أَمَّا غَايَةُ (الفَنِّ): البَحْثُ عَنِ الجَمَالِ.

- مِنْ حَيْثُ مِعْيَارُ (الصِّدْقِ):

(العِلْمُ): قَابِلٌ لِلْقِيَاسِ، وَمِنْ ثَمَّ خَاضِعٌ لِلتَّطْبِيقِ العَمَلِيِّ المُبَاشِرِ.

أَمَّا (الفَنُّ): فَهُوَ قَرِيبٌ فَقَطْ مِنَ الِاسْتِنَارَةِ وَإِيقَاظِ البَصِيرَةِ، وَبِالتَّالِي غَيْرُ قَابِلٍ لِلْقِيَاسِ.

- مِنْ حَيْثُ (الشُّمُول):

مِنْ خِلَالِ تَعْرِيفِهِ: (العِلْمُ) اِعْتِقَادٌ جَازِمٌ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ، يُقَابِلُهُ (الجَهْلُ) وَ(التَّشْكِيكُ)، فَهُوَ إِذًا ثَابِتٌ وَشُمُولِيٌّ.

أَمَّا (الفَنُّ)؛ فَهُوَ وَمَضَاتُ رُؤْيَةٍ خَاطِفَةٍ سُرْعَانَ مَا تَنْطَفِئُ، فَهُوَ إِذًا أَقَلُّ كُلِّيَّةً وَتَمْيِيزًا. وَثَمَّةُ فَوَارِقُ أُخْرَى.

- فَـ(العِلْمُ) يَتَّصِفُ بِـ(المَوْضُوعِيَّةِ).

- أَمَّا (الفَنُّ) فَيَتَّصِفُ بِـ(الذَّاتِيَّةِ) وَ(الاعْتِبَارَاتِ الشَّخْصِيَّةِ).

وَلِذَا؛ فَلَيْسَ مِنَ المُمْكِنِ وَضْعُ قَاعِدَةٍ يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ بِمُوجِبِهَا أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى جَمَالِ شَيْءٍ مَا، فَالحُكْمُ عَلَى الجَمَالِ حُكْمٌ ذَاتِيٌّ؛ وَهُوَ يَتَغَيَّرُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ، وَلِهَذَا فَإِنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنِ الحُكْمِ المَنْطِقِيِّ القَائِمِ عَلَى التَّصَوُّرَاتِ العَقْلِيَّةِ.

وَلِذَا؛ فَالحُكْمُ المُتَعَلِّقُ بِـ(الذَّوْقِ) لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ (مَوْضُوعِيًّا) وَلَا (كُلِّيًّا).

- وَالجَمْعُ بَيْنَ (العِلْمِ) وَ(الفَنِّ)؛ هُوَ: جَمْعٌ بَيْنَ (الحِسِّ) وَ(العَقْلِ)، بَيْنَ (الرُّوحِ) وَ(الجَسَدِ)، بَيْنَ (الذَّاتِيَّةِ) وَ(المَوْضُوعِيَّةِ).

وَهَذَا هُوَ: (أَنْتَ) أَيُّهَا الإِنْسَانُ! عَقْلٌ، وَعَاطِفَةٌ، وَجَسَدٌ! فَهَلْ تُدِيرُ عَقْلَكَ؟

وَهَلْ تَتَحَكَّمُ فِي: عَوَاطِفِكَ .. وَغَرَائِزِكَ .. وَشَهَوَاتِكَ .. وَأَهْوَائِكَ؟ ..

أَمْ تَتَحَكَّمُ (هِيَ) فِيكَ؟!!!]

❁❁❁❁❁

فَـ(الإِدَارَةُ) فِيهَا مَعْنَى (المَهَارَةِ وَالصَّنْعَةِ)؛ وَهَذَا مَا يَحْمِلُهُ تَعْرِيفُ (الفَنِّ).

وَهِيَ تَعْتَمِدُ عَلَى (المَلَكَةِ وَالعَقْلِ) لَا عَلَى الوِجْدَانِ؛ وَهَذَا مَا يَحْمِلُهُ تَعْرِيفُ (العِلْمِ).

فَمِنْ حَيْثُ (المَهَارَةِ وَالصَّنْعَةِ)؛ هِيَ (فَنٌّ).

وَمِنْ حَيْثُ اعْتِبَارُ (الوَسِيلَةِ وَالمِعْيَارِ وَالغَايَةِ)؛ هِيَ (عِلْمٌ).

❁❁❁❁❁

وَ(**عِلْمُ الإِدَارَةِ**) هُوَ أَحَدُ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ الحَدِيثَةِ، وَقَدِ اهْتَمَّ بِالطَّرِيقَةِ المُثْلَى لِلْقِيَامِ بِالأَعْمَالِ فِي المُؤَسَّسَاتِ وَالشَّرِكَاتِ. [وَيُمْكِنُ تَطْبِيقُ ذَلِكَ عَلَى حَيَاةِ (الفَرْدِ) كَمَا يُطَبَّقُ فِي الشَّرِكَاتِ وَالمُؤَسَّسَاتِ]

فَ(**الإِدَارَةُ**) تَتَمَيَّزُ بِأَنَّهَا (إِنْسَانِيَّةٌ)؛ لأَنَّهَا تَنْصَبُّ أَسَاسًا عَلَى المَجْهُودِ البَشَرِيِّ وَالعَلَاقَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالتَّعَاوُنِ الجَمَاعِيِّ، وَيَتَوَقَّفُ نَجَاحُهَا عَلَى المَجْهُودَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ وَدَرَجَةِ تَفَانِي الأَفْرَادِ وَمَدَى إِخْلَاصِهِمْ.

وَ(**الإِدَارَةُ**) هِيَ الأَسَاسُ فِي كُلِّ عَمَلٍ، فَبِدُونِهَا يَكُونُ العَمَلُ خَبْطَ عَشْواءٍ [عَمَلٌ عَشْوَائِيٌّ]، وَبِهَا يَسِيرُ العَمَلُ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، لَكِنْ إِذَا اعْوَجَّتْ اِعْوَجَّ العَمَلُ مَعَهَا، وَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ العَمَلُ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ العَقْلِ لِلْإِنْسَانِ، وَالعَقْلُ إِذَا لَمْ يُطَوَّرْ تَجَمَّدَ بَلْ تَحَجَّرَ.

وَ(**عِلْمُ الإِدَارَةِ**)؛ هُوَ: «مَجْمُوعَةُ القَوَاعِدِ وَالمَبَادِئِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي تَهْتَمُّ بِالاِسْتِخْدَامِ الأَنْسَبِ لِلْمَوَارِدِ لِتَحْقِيقِ الهَدَفِ بِأَقَلِّ وَقْتٍ وَجَهْدٍ وَكُلْفَةٍ مُمْكِنَةٍ».

وَمَعَ أَنَّ (**الإِدَارَةَ**) لَهَا قَوَاعِدُ وَأُسُسٌ تَسْتَنِدُ إِلَيْهَا وَمَبَادِئُ عِلْمِيَّةٌ تَحْكُمُ عَمَلِيَّاتِهَا؛ إِلَّا أَنَّهَا لَهَا طَبِيعَةٌ (دِينَامِيكِيَّةٌ) مُتَحَرِّكَةٌ طِبْقًا لِلْمَوَاقِفِ المُتَغَيِّرَةِ.

فَ(**الإِدَارَةُ**) هِيَ: «فَنُّ الحُصُولِ عَلَى أَقْصَى نَتَائِجِ بِأَقَلِّ جَهْدٍ؛ حَتَّى يُمْكِنَ تَحْقِيقُ أَقْصَى سَعَادَةٍ وَأَفْضَلِ خِدْمَةٍ لِلإِنْسَانِ وَلِلْمُجْتَمِعِ».

هِيَ: «فَنُّ قِيَادَةِ وَتَوْجِيهِ أَنْشِطَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ نَحْوَ تَحْقِيقِ هَدَفٍ مُشْتَرَكٍ».

هِيَ: «الوَظِيفَةُ الَّتِي عَنْ طَرِيقِهَا يَتِمُّ الوُصُولُ إِلَى الهَدَفِ: بِأَفْضَلِ الطُّرُقِ، وَأَقَلِّهَا تَكْلُفَةً، وَفِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ، وَذَلِكَ بِاسْتِخْدَامِ الإِمْكَانِيَّاتِ المُتَاحَةِ».

هِيَ: «تَوْجِيهُ الجَهْدِ البَشَرِيِّ لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ مُعَيَّنٍ». [فِي إِطَارِ الظُّرُوفِ البِيئِيَّةِ]

وَمَعَ أَنَّ الأَعْضَاءَ مُخْتَلِفُونَ وَكُلٌّ لَهُ أَهْدَافُهُ وَأَغْرَاضُهُ؛ إِلَّا أَنَّ عَلَى الجَمِيعِ أَنْ يُوَجَّهَ وَأَنْ يُنَظَّمَ [بَلْ وَيَنْصَهِرَ] وَفْقًا لِمُقْتَضَيَاتِ التَّنْظِيمِ وَمُتَطَلَّبَاتِ أَهْدَافِهِ.

❁❁❁❁❁

❁ وَلِذَا؛ لاَبُدَّ مِنَ القِيَامِ بِخَمْسَةِ وَظَائِفٍ؛ هِيَ:

الوَظِيفَةُ الأُولَى: تَحْدِيدُ الأَهْدَافِ.

[وَ(الأَهْدَافُ) نَوْعَانِ: تَخْطِيطِيَّةٌ، وَتَنْفِيذِيَّةٌ]

الوَظِيفَةُ الثَّانِيَةُ: تَرْتِيبُ وَتَنْظِيمُ العَمَل.

الوَظِيفَةُ الثَّالِثَةُ: التَّحْفِيزُ وَالاتِّصَالُ.

الوَظِيفَةُ الرَّابِعَةُ: التَّقْيِيمُ وَالقِيَاسُ.

الوَظِيفَةُ الخَامِسَةُ: تَطْوِيرُ الأَدَاءِ.

❁❁❁❁❁

❁ وَ(الإِدَارَةُ) تَخْتَصُّ بِـ:

١. (التَّخْطِيطِ Planning).

٢. وَ(التَّنَبُّؤِ Forecasting)؛ وَ(النَّظْرَةِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ طَوِيلَةِ الأَجَلِ)

(Long-rang out look Futuring).

٣. وَ(التَّنْظِيمِ Organizjng).

٤. وَ(التَّوْجِيهِ Dircting) [وَتَنْمِيَةِ الكِفَايَاتِ] [لِتَوْجِيهِ الجُهُودِ لِتَنْفِيذِ الأَهْدَافِ].

٥. وَ(المُرَاقَبَة Controling) [وَهِيَ عَمَلِيَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لِكَشْفِ الأَخْطَاءِ وَالانْحِرَافَاتِ عَنِ الجَادَّةِ لاتِّخَاذِ الخُطُوَاتِ العَمَلِيَّةِ المُنَاسِبَةِ فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ].

❁❁❁❁❁

الإِطَارُ الشَّامِلُ لِلْعَمَلِيَّةِ الإِدَارِيَّةِ

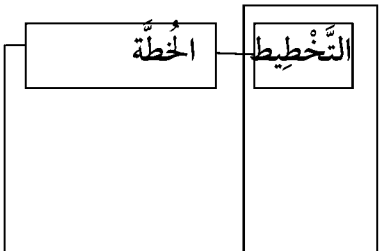

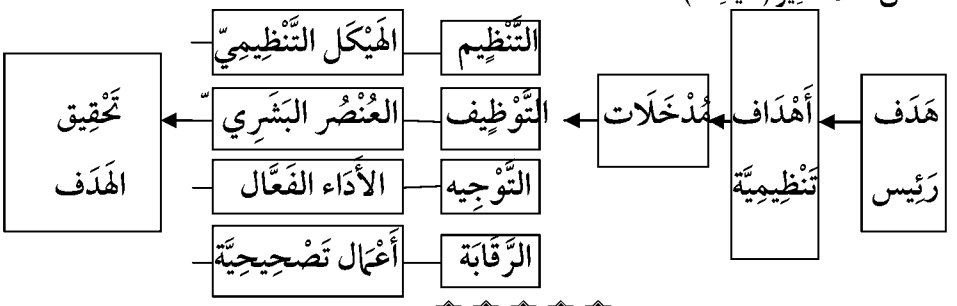

وَ(**العَمَلِيَّةُ الإِدَارِيَّةُ** Management Process)؛ هِيَ:

«الطَّرِيقَةُ المُنْتَظِمَةُ بِالقِيَامِ بِالأَعْمَالِ الَّتِي يُمْكِنُ تَحْلِيلُهَا وَوَصْفُهَا مِنْ خِلَالِ عَنَاصِرِهَا».

وَفِي (عِلْمِ الإِدَارَةِ) تَتَكَوَّنُ مِنْ عِدَّةِ وَظَائِفِ إِدَارِيَّةٍ مُتَدَاخِلَةٍ تَتَكَوَّنُ مِنَ: (التَّخْطِيط)، وَ(التَّنْظِيم)، وَ(التَّوْجِيه)، وَ(الرِّقَابَة).

وَكُلُّ مُدِيرٍ يَخْتَصُّ بِالقِيَامِ بِهَذِهِ الوَظَائِفِ بِالشَّكْلِ الأَمْثَلِ الَّذِي يُتِيحُ لِمُؤَسَّسَتِهِ أَنْ تَكُونَ بِالشَّكْلِ الأَفْضَلِ.

❁ وَلاَبُدَّ مِنْ:

• (جَمْعِ البَيَانَاتِ وَتَصْنِيفِهَا):

وَهَذَا رُبَّمَا يَتِمُّ حَسَبَ أَرْبَعَةِ أُسُسٍ:

١ـ الفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ المُسْتَقْبَلَةِ لِلْقَرَارِ.

٢ـ وَقْعِ القَرَارِ وَرُدُودِ الأَفْعَالِ.

٣ـ عَدَدِ الِاعْتِبَارَاتِ النَّوْعِيَّةِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي القَرَارِ.

٤ـ مَدَى التَّكْرَارِ المُنْتَظِمِ لِلْقَرَارِ.

• (التَّحْسِينِ المُسْتَمِرِّ Continuos Improvents) بِوَضْعِ الخُطُواتِ لِاسْتِمْرَارِ التَّحْسِينِ وَالتَّطَوُّرِ.

• (سُرْعَةِ التَّجَاوُبِ Rapid Response)؛ أَيِّ الوَقْت الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ رِدَّةُ الفِعْلِ تُجَاهَ

الإِصْلَاحِ وَالتَّطْوِيرِ.

• اِسْتِخْدَامِ البُحُوثِ وَالمَعْلُومَاتِ وَالحَقَائِقِ [وَمَعْرِفَة كَيْفِيَّةِ الوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ] لِاتِّخَاذِ القَرَارِ.

• (تَخْصِصِ المَوَارِدِ Resources alutation)؛ أَيْ: تَحْقِيق الِاسْتِخْدَامِ الأَمْثَلِ لِلْمَوَارِدِ المُتَاحَةِ.

• (الِابْتِكَارِ Creativity)، وَمُحَاوَلَةِ الإِبْدَاعِ وَالتَّحْدِيثِ.

❁❁❁❁❁

❁ وَالإِنْسَانُ (**المُتَّخِذُ لِلْقَرَارِ**) لَابُدَّ أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَاتٍ؛ مِنْهَا:

١. القُدْرَةُ عَلَى (التَّفْكِيرِ)[1] المُنَظَّمِ

[وَالتَّفْكِيرُ هُوَ: التَّعَامُلُ مَعَ الخِيَارَاتِ وَمُعَالَجَتُهَا -قِيَاسُهَا وَمُقَارَنَتُهَا وَتَقْيِيمُهَا- وَالحُكْمُ

---

(١) (الفِكْرُ) وَ(التَّفْكِيرُ) هُوَ: مُجْمَلُ الأَشْكَالِ وَالعَمَلِيَّاتِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا عَقْلُ (ذِهْنُ) الإِنْسَانِ، وَالَّتِي تُمَكِّنُهُ مِنْ (نَمْذَجَةِ) [عَمَلِ نَمُوذَجِ] العَالَمِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، وَبِالتَّالِي تُمَكِّنُهُ مِنَ التَّعَامُلِ مَعَهُ بِفَعَالِيَةٍ أَكْبَرَ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ وَخُطَطِهِ وَرَغَبَاتِهِ وَغَايَاتِهِ. وَعَمَلِيَّةُ (التَّفْكِيرِ) تَتَضَمَّنُ أَيْضًا التَّعَامُلَ مَعَ المَعْلُومَاتِ، وَالإِسْهَامَ فِي عَمَلِيَّةِ حَلِّ المُشْكِلَاتِ، وَالاسْتِنْتَاجَ، وَاتِّخَاذَ القَرَارَاتِ. وَلِذَا يُعْتَبَرُ (التَّفْكِيرُ) أَعْلَى (الوَظَائِفِ الإِدْرَاكِيَّةِ)، وَهُوَ ضِمْنُ إِطَارِ (عِلْمِ النَّفْسِ الإِدْرَاكِيِّ cognitive psychology) وَ(الفِكْرُ) أَيْضًا اتِّجَاهٌ يَرْتَبِطُ بِهِ الإِنْسَانُ بَعْدَ (تَفْكِيرٍ) لاخْتِيَارِ (تَوَجُّهٍ) يُقِيمُ عَلَى أَسَاسِهِ نَهْجَ حَيَاتِهِ وَالقِيَمَ الإِنْسَانِيَّةَ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا.

وَ(الاتِّجَاهَاتُ الفِكْرِيَّةُ) تَتَقَاطَعُ فِيمَا بَيْنَهَا بِشَكْلٍ كَبِيرٍ، كَمَا أَنَّهُ يُمْكِنُ لأَيِّ إِنْسَانٍ اتِّخَاذُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَبَادِيءِ الَّتِي لاَ تَنْتَمِي لِتَوَجُّهٍ فِكْرِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَاعْتِبَارُهَا تَوَجُّهًا فِكْرِيًّا خَاصًّا..

وَهُنَاك أَنْمَاطٌ وَدَرَجَاتٌ لِلتَّفْكِيرِ؛ أَعْلَاهَا وَأَعْظَمُهَا وَأَرْقَاهَا: (التَّفْكِيرُ المُسْتَنِيرُ)؛ وَهُوَ الفِكْرُ الَّذِي يُجَلِّي غَوَامِضَ الأُمُورِ، وَلاَ يَكْتَفِي بِمَعْرِفَةِ أُصُولِ الأَشْيَاءِ وَفُرُوعِهَا، أَوِ الوَقَائِعِ وَمُسَبَّبَاتِهَا، أَوِ النُّصُوصِ وَمَعَانِيهَا؛ كَمَا هُوَ الحَالُ فِي (الفِكْرِ العَمِيقِ)، إِلاَّ أَنَّهُ يَتَعَدَّى ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ مَا يُحِيطُ بِهَذِهِ الأَشْيَاءِ وَمَا حَوْلَهَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

عَلَيْهَا، ثُمَّ القِيَامُ بِالاخْتِيَارِ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ]؛ بَلْ وَبِدِقَّةٍ وَتَرْكِيزٍ.

٢. الِاسْتِعْدَادُ لِتَحَمُّلِ المَسْؤُولِيَّاتِ.

٣. الِاسْتِعْدَادُ لِلتَّطَوُّرِ.

إِنَّ (حَيَاتَكَ) كُلَّهَا -فِي الحَقِيقَةِ- عِبَارَةٌ عَنِ العَدِيدِ مِنَ (العَمَلِيَّاتِ)، أَوْ -إِنْ شِئْنَا الدِّقَّةِ- (عَمَلِيَّة) فِيهَا العَدِيدُ مِنَ (العَمَلِيَّاتِ).

فَكَلِمَةُ (عَمَلِيَّة) يُقْصَدُ بِهَا:

"طَرِيقَة مُحَدَّدَة لِإِنْجَازِ أَعْمَالٍ مُعَيَّنَةٍ، وَتَشْمَلُ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ عَدَدًا مِنَ الخُطُوَاتِ"؛ كَمَا فِي قَامُوس "وِبسْتَر".

فَهِيَ تَشْمَلُ المَفَاهِيمَ الآتِيَةَ:

١. أُسْلُوب مُحَدَّد يَجِبُ اتِّبَاعُهُ.

٢. هَذَا الأُسْلُوب يُؤَدِّي إِلَى إِنْجَازِ أَعْمَالٍ مُعَيَّنَةٍ.

٣. هَذِهِ الأَعْمَالُ تَتِمُّ عَنْ طَرِيقِ عَدَدٍ مِنَ الخُطُوَاتِ أَوِ العَمَلِيَّاتِ.

تَنْبِيه: لَا تُوجِدُ قَوَاعِدُ عِلْمِيَّةٌ يُمْكِنُ تَطْبِيقُهَا تِلْقَائِيًّا عَلَى المُشْكِلَاتِ. .. فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ (الإِدَارَةُ) وِفْقًا لِنَمَاذِجٍ ثَابِتَةٍ وَلَا لأَنْمَاطٍ جَامِدَةٍ.

حَدِّدْ هَدَفَكَ

إِنَّ الأُمَمَ وَالمُجْتَمَعَاتِ وَالأَشْخَاصَ -وَمُنْذُ القِدَمِ- تُحَدِّدُ لِنَفْسِهَا (**الهَدَفَ**) [الاسْتِرَاتِيجِيّ Strategy (الهَدَف الرَّئِيس)]، بِخِلَافِ (الأَهْدَافِ التَّكْتِيكِيَّةِ) (الأَهْدَاف الفَرْعِيَّة)، وَهِيَ خُطَطٌ أَوْ طُرُقٌ تُوضَعُ لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ مُعَيَّنٍ عَلَى المَدَى البَعِيدِ اعْتِمَادًا عَلَى (التَّخْطِيطَاتِ) وَالإِجْرَاءَاتِ فِي اسْتِخْدَامِ المَصَادِرِ المُتَوَفِّرَةِ فِي المَدَى القَصِيرِ.

وَيَعُودُ أَصْلُ كَلِمَةِ (الاسْتِرَاتِيجِيَّة Strategy) إِلَى التَّعْبِيرِ العَسْكَرِيِّ، وَلَكِنَّهَا الآنَ تُسْتَخْدَمُ بِكَثْرَةٍ فِي سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمَجَالاَتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي شَتَّى مَنَاحِ الحَيَاةِ العَامَّةِ.

❁❁❁❁❁❁

وَ(الأَهْدَافُ) تُعْتَبَرُ بِمَثَابَةِ (الغَايَاتِ) الَّتِي يَجِبُ تَوْجِيهُ كَافَةِ الجُهُودِ نَحْوَ تَحْقِيقِهَا وَالعَمَلِ عَلَى تَنْفِيذِهَا، وَتَتَوَقَّفُ فَاعِلِيَّةُ الإِنْسَانِ نَحْوَ إِنْجَازِهَا عَلَى مَدَى (الإِدْرَاكِ) لَدَيْهِ لِذَلِكَ وَتَفَهُّمِهِ لَهَا وَإِيمَانِهِ بِهَا.

إِنَّ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الإِنْسَانِ وَرَاءَهُ هَدَفٌ مُعْلَنٌ أَوْ خَفِيٌّ؛ فَـ(لَا عَمَلَ إِلَّا بِالنِّيَّةِ)، فَـ(الْأَعْمَال بِنِيَّاتِهَا) حَيْثُ أَنَّ (الْعَمَلَ يَتْبَعُ النِّيَّةَ وَيُصَاحِبُهَا)، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» وَ[النِّيَّةُ تَتَنَوَّعُ كَمَا تَتَنَوَّعُ الْأَعْمَالُ؛ كَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ وَجْهَ الله أَوْ تَحْصِيلَ مَوْعُودِهِ أَوْ الِاتِّقَاءِ لِوَعِيدِهِ)، وَ(الْبَاءُ) فِي (بِالنِّيَّاتِ) لِلْمُصَاحَبَةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ لِلسَّبَبِيَّةِ بِمَعْنَى أَنَّهَا مُقَوِّمَةٌ لِلْعَمَلِ فَكَأَنَّهَا سَبَبٌ فِي إِيجَادِهِ. فَـ(الْأَعْمَالُ تَتْبَع النِّيَّةَ)].

وَ(**النِّيَّةُ**) عِبَارَةٌ عَنْ اِنْبِعَاثِ الْقَلْبِ نَحْوَ مَا يَرَاهُ مُوَافِقًا لِغَرَضٍ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ حَالًا أَوْ مَآلًا، وَالشَّرْعُ خَصَّصَهُ بِالْإِرَادَةِ الْمُتَوَجِّهَةِ نَحْوَ الْفِعْلِ لِابْتِغَاءِ رِضَاءِ الله وَامْتِثَالِ حُكْمِهِ.

فَلِمَاذَا انْبَعَثَ القَلْبُ نَحْوَ هَذَا العَمَلِ أَوْ ذَاكَ؟

إِنَّهَا إِمَّا مَقَاصِدُ دُنْيَوِيَّةٌ (المُحْتَوَى، وَالمَقَاصِد، وَالضَّوَابِط وَالمَعَايِير) عَاجِلَةٌ صِرْفَةٌ [دُونَ تَقَيُّدٍ

بِشَرْعٍ وَلَا دِينٍ]؛ أَصْحَابُهَا ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ (الرُّوم/ ٧) ... أَوْ أَنْ تَكُونَ لِعُمْرَانِ الدُّنْيَا البَشَرِيِّ كَمَعْبَرٍ لِلْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (سِيَاسَة الدُّنْيَا بِمَقَاصِدِ الآخِرَةِ) (نَافِعَة فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) .. أَنْ تَكُونَ (لله).

إِنَّهُ يُمْكِنُكَ أَنْ تَحْظَى بِـ(السَّعَادَةِ) وَ(رَاحَةِ البَال) قَبْلَ أَنْ تَقُومَ بِعَمَلٍ جَيِّدٍ وَلَيْسَ نَتِيجَةً لِهَذَا العَمَلِ؛ وَذَلِكَ إِذَا كَانَ لَدَيْكَ (نَوَايَا) حَسَنَةٌ.

فَاسْتَحْضِر نِيَّةَ الخَيْرِ فِي كُلِّ عَمَلٍ، وَاسْتَحْضِرْ نَفْعَ الآخَرِينَ وَالكَفَّ عَنْ أَيِّ شَرٍّ؛ فَالإِمَامُ **أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ** يُوصِي ابْنَهُ عَبْدَ الله: «يَا بُنَيَّ، اِنْوِ الخَيْرَ، فَأَنْتَ بِخَيْرٍ مَا دُمْتَ تَنْوِي الخَيْرَ».

- وَقِيلَ: نِيَّةُ المَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ.
- يُؤْجَرُ الإِنْسَانُ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ.
- وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ عَظِيمٍ تُحَقِّرُهُ النِّيَّةُ! وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ!
- كَمْ مِنْ أَعْمَالٍ يَنْوِيهَا الإِنْسَانُ وَلَا يَسْتَطِيعُ القِيَامَ بِهَا؛ فَيُكْتَبُ لَهُ الأَجْرَ!

❁❁❁❁❁

- فَكِّرْ فِي (أَهْدَافِكَ)، وَانْظُرْ فِي رِسَالَتِكَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ.

وَانْظُرْ إِلَى (أَدْوَارِكَ) فِي هَذِهِ الحَيَاةِ، فَأَنْتَ تَقُومُ بِأَكْثَرَ مِنْ (دَوْرٍ) .. قَدْ تَكُونُ أَبًا أَوْ أُمًّا .. وَقَدْ تَكُونُ أَخًا أَوْ أُخْتًا، وَقَدْ تَكُونُ ابْنًا أَوْ بِنْتًا، وَقَدْ تَكُونُ مُوَظَّفًا أَوْ عَامِلًا أَوْ مُدِيرًا، وَقَدْ تَكُونُ .. وَقَدْ تَكُونُ ..، فَكُلُّ (دَوْرٍ) بِحَاجَةٍ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَعْمَالِ تُجَاهَهُ، وَتَحْتَاجُ إِلَى تَخْطِيطٍ وَاتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ وَعَمَلٍ مُنْتِجٍ مِنْكَ. ... فَحَدِّدْ أَهْدَافًا لِكُلِّ (دَوْرٍ)، وَحَاوِلْ أَنْ تَأْخُذَ (القَرَارَ) المُنَاسِبَ لِكُلِّ حَالَةٍ.

❁❁❁❁❁

وَكَلِمَةُ (**قَرَار**) تَعْنِي: البَتّ النِّهَائِيّ وَالإِرَادَة المُحَدَّدَة لِصَانِعِ القَرَارِ، بِشَأْنِ مَا يَجِبُ وَمَا لَا يَجِبُ فِعْلُهُ؛ لِلْوُصُولِ لِوَضْعٍ مُعَيَّنٍ وَإِلَى نَتِيجَةٍ مُحَدَّدَةٍ وَنِهَائِيَّةٍ.

فَـ[لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا (إِرَادَةَ) لَهُ، وإذا مَا حَدَّدْتَ وِجْهَتَكَ فِي أَمْرٍ مَا فَإِنَّ (إِرَادَتَكَ) وَ(إِصْرَارَكَ) هُمَا أَوَّلُ زَادِكَ؛ فَقَدْ قِيلَ: (الإِرَادَةُ نِصْفُ الطَّرِيقِ). وَيَجِبُ إِنْ تَعَثَّرْتَ نَتِيجَةَ أَمْرٍ مَا أَوْ عَائِقٍ طَبِيعِيٍّ أَوْ مُفْتَعَلٍ مِنْ غَيْرَكَ أَنْ يُزِيدَكَ هَذَا إِصْرَارًا وَرَغْبَةً فِي الصُّمُودِ وَالوُقُوفِ؛ فَـ(لَيْسَ العَيْبُ أَنْ تَقَعَ؛ إِنَّمَا أَنْ تَبْقَى مَكَانَكَ). فَامْضِ فِي طَرِيقِكَ، وَلَا تَرْجِعْ بِخُفَّيْ حُنَيْن].

وَيُمْكِنُ تَعْرِيفُ (**القَرَارِ**) بِأَنَّهُ: مَسَارُ (فِعْلٍ) يَخْتَارُهُ (المُقَرِّرُ) بِاعْتِبَارِهِ أَنْسَب (وَسِيلَةٍ مُتَاحَةٍ) أَمَامَهُ؛ لِإِنْجَازِ (الهَدَفِ) أَوِ (الأَهْدَافِ) الَّتِي يَبْتَغِيهَا، أَيْ: لِحَلِّ (المُشْكِلَةِ) الَّتِي تَشْغَلُهُ.

وَ(القَرَارُ) فِي أَبْسَطِ حَالَاتِهِ: وَسِيلَةٌ تُنَشِّطُ اسْتِجَابَةً سَبَقَ تَشْكِيلُهَا؛ وَهِيَ فِي وَضْعِ اسْتِعْدَادٍ لَدَى ظُهُورِ مَوْقِفٍ يَتَطَلَّبُ تِلْكَ الِاسْتِجَابَةَ. وَفِي أَقْصَى حَالَاتِ التَّعْقِيدِ يُصْبِحُ (القَرَارُ) وَسِيلَةً لِتَحْدِيدِ مَعَالِمِ اسْتِجَابَةٍ تَلْقَى قَبُولًا عَامًّا حَيْثُ لَا اسْتِجَابَةَ قَائِمَةً مِنْ قَبْلُ.

فَـ(**صُنْعُ القَرَارِ**) هُوَ: سِلْسِلَةُ الِاسْتِجَابَاتِ الفَرْدِيَّةِ أَوِ الجَمَاعِيَّةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِاخْتِيَارِ (البَدِيلِ) الأَنْسَبِ فِي مُوَاجَهَةِ مَوْقِفٍ مُعَيَّنٍ.

مَعَ التَّنَبُّهِ بِوُجُودِ فَارِقٍ بَيْنَ: (**صُنْع القَرَارِ** Decision Making)، وَ(**اتِّخَاذ القَرَارِ** Decision Taking)، فَمَفْهُومُ (صُنْعِ القَرَارِ) لَا يَعْنِي (اتِّخَاذَ القَرَارِ) فَحَسْبُ؛ وَإِنَّمَا هُوَ عَمَلِيَّةٌ مُعَقَّدَةٌ لِلْغَايَةِ تَتَدَاخَلُ فِيهَا عَوَامِلُ مُتَعَدِّدَةٌ: نَفْسِيَّةٌ، سِيَاسِيَّةٌ، اقْتِصَادِيَّةٌ، وَاجْتِمَاعِيَّةٌ، وَتَتَضَمَّنُ عَنَاصِرَ عَدِيدَةً.

وَيَرَى (**طُومُسُون**) وَ(**تُودِين**) أَنَّهُ (وَإِنْ كَانَ الِاخْتِيَارُ بَيْنَ البَدَائِلِ يَبْدُو نِهَايَةَ المَطَافِ فِي (صُنْعِ القَرَارَاتِ) إِلَّا أَنَّ مَفْهُومَ (القَرَارِ) لَيْسَ قَاصِرًا عَلَى الِاخْتِيَارِ النِّهَائِيِّ؛ بَلْ إِنَّهُ يُشِيرُ كَذَلِكَ إِلَى تِلْكَ الأَنْشِطَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ الِاخْتِيَارِ).

وَعَلَى ذَلِكَ يَجِبُ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ مَفْهُومَيِّ (صُنْع القَرَارِ) وَ(اتِّخَاذ القَرَارِ)؛ فَالأَخِيرُ يُمَثِّلُ مَرْحَلَةً مِنَ الأَوَّلِ، بِمَعْنَى أَنَّ (اتِّخَاذَ القَرَارِ) يُمَثِّلُ آخِرَ مَرْحَلَةٍ فِي عَمَلِيَّةِ (صُنْعِ القَرَارَاتِ).

فَمَهَمَّةُ (اتِّخَاذ القَرَارِ)؛ هِيَ: عَمَلِيَّةُ أَوْ أُسْلُوبُ الِاخْتِيَارِ الرَّشِيدِ بَيْنَ (البَدَائِلِ المُتَاحَةِ) لِتَحْقِيقِ (هَدَفٍ) مُعَيَّنٍ.

وَمِنْ هُنَا يُمْكِنُ اسْتِنْتَاجُ النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

١. أَنَّ (اتِّخَاذَ القَرَارِ) يَتِمُّ مِنْ خِلَالِ اتِّبَاعِ عِدَّةِ خُطُواتٍ مُتَتَابِعَةٍ تُشَكِّلُ أُسْلُوبًا مَنْطِقِيًّا فِي الوُصُولِ إِلَى حَلٍّ أَمْثَل.

٢. أَنَّ لِأَيِّ مَوْقِفٍ أَوْ مُشْكِلَةٍ عَامَّةٍ حُلُولًا بَدِيلَةً يَجِبُ تَحْدِيدُهَا وَتَحْلِيلُهَا وَمُقَارَنَتُهَا عَلَى هَدْيِ قَوَاعِدَ أَوْ مَقَايِيسَ مُحَدَّدَةٍ.

٣. أَنَّ طَرِيقَةَ اكْتِشَافِ (البَدَائِلِ) وَتَحْدِيد قَوَاعِدِ الِاخْتِيَارِ وَاخْتِيَارِ الحَلِّ الأَمْثَلِ تَعْتَمِدُ كُلِّيَّةً عَلَى هَدَفٍ أَوْ مَجْمُوعَةِ أَهْدَافٍ يُمْكِنُ تَحْقِيقُهَا، وَالمِعْيَارِ الرَّئِيسِ لِقِيَاسِ مَدَى فِعَالِيَةِ القَرَارِ.

وَتَدُورُ عَمَلِيَّةُ (اتِّخَاذِ القَرَارِ) فِي إِطَارٍ مُعَيَّنٍ يَشْمَلُ سِتَّةَ عَنَاصِر؛ هِيَ:

١. المَوْقِف أَوِ (المُشْكِلَة).

٢. مُتَّخِذ القَرَارِ.

٣. الهَدَف.

٤. البَدَائِل.

٥. قَوَاعِد الِاخْتِيَارِ.

٦. عَمَلِيَّة اخْتِيَارِ (الحَلِّ الأَمْثَلِ) بَيْنَ (البَدَائِلِ).

❁❁❁❁❁

إِنَّ قُدْرَةَ الإِنْسَانِ عَلَى (**عَمَلِيَّةِ اتِّخَاذِ القَرَارِ**) يَخُصُّ نَفْسَهُ؛ لَابُدَّ فِيهَا: المُرُونَةُ وَالقُدْرَةُ عَلَى التَجْرِيبِ وَالابْتِكَارِ؛ لِلْبَحْثِ عَنْ أَفْضَلِ النُّظُمِ الكَفِيلَةِ بِمُسَاعَدَتِهِ عَلَى تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ.

إِنَّ (**تَحْدِيدَ الأَهْدَافِ**) يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ عَمَلِيَّةُ (اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ)؛ الَّتِي هِيَ مِنْ أَهَمِّ الوَظَائِفِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا (الإِنْسَانُ)، وَلَابُدَّ أَنْ يُحَسِّنَ (الإِنْسَانُ) مَبَادِئَ (التَّنْظِيمِ) الَّتِي تَضْمَنُ سَلَامَةَ اتِّخَاذِ

القَرَارَاتِ بِالقَدْرِ الَّذِي تَحْتَوِي فِيهِ عَلَى مَبَادِئِ كَفَاءَةِ التَّنْفِيذِ.

إِنَّ (**اتِّخَاذَ القَرَارَاتِ**) هُوَ نُقْطَةُ البَدْءِ بِالنِّسْبَةِ لِجَمِيعِ الإِجْرَاءَاتِ وَأَوْجُهِ النَّشَاطِ وَالتَّصَرُّفَاتِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا (الإِنْسَانُ).

إِنَّهَا (**عَمَلِيَّةٌ**) مُسْتَمِرَّةٌ وَتَسْتَنِدُ عَلَى مُحَاوَلَةِ (الإِنْسَانِ) اخْتِيَارَ مَاذَا يَجِبُ عَمَلُهُ؟ .. وَكَيْفَ يَقُومُ بِهِ؟ .. وَمَا هُوَ الوَقْتُ المُنَاسِبُ لإِنْجَازِهِ؟ .. وَمَا هُوَ المَكَانُ المُنَاسِبُ؟

وَأَيْضًا: تَقْوِيمُ العَمَلِ وَمُرَاجَعَتُهُ .. تَقْوِيمُ العَمَلِ الفِعْلِيِّ بِمَا هُوَ مُخَطَّطٌ لَهُ.

بِالإِضَافَةِ إِلَى: عَمَلِيَّاتِ التَّصْحِيحِ المُسْتَمِرَّةِ.

إِنَّ كُلَّ مَا يَقُومُ بِهِ (الإِنْسَانُ) -فِي الحَقِيقَةِ- لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ أَوْ يَسْتَمِرَّ دُونَ (اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ).

❁❁❁❁❁

وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَحَلَّى الإِنْسَانُ بِـ: (**الجُرْأَةِ**) وَ(**الشَّجَاعَةِ**) وَ(**الثِّقَةِ**) فِي (اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ)؛ وَإِلَّا فَإِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ يُمْكِنُ أَنْ تُفْقَدَ إِنْ لَمْ نَتَّخِذِ (القَرَارَ).

بَلْ إِنَّهُ فِي القَرَارَاتِ المَصِيرِيَّةِ لَابُدَّ مِنِ (اتِّخَاذِ القَرَارِ)؛ وَلَوْ كَانَ خَطَأً!!!

وَحَيَاةُ (الإِنْسَانِ) مِنَّا مَلِيئَةٌ بِـ(القَرَارَتِ) الكَثِيرَةِ وَالمُتَفَاوِتَةِ بَيْنَ (رُوتِينِيَّةٍ) عَادِيَّةٍ وَبَيْنَ (قَرَارَاتٍ) (مَصِيرِيَّةٍ) هَامَّةٍ.

وَبَعْضُ (القَرَارَاتِ) يَحْتَاجُ -أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ- إِلَى: الدِّقَّةِ وَالذَّكَاءِ وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ وَالتَّرَوِّي.

وَقَدْ يَحْتَاجُ الأَمْرُ إِلَى: الدِّرَاسَةِ وَالمَشُورَةِ وَمَعْرِفَةِ الآرَاءِ وَالأَفْكَارِ المُخْتَلِفَةِ.

وَعَمَلِيَّةُ (اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ) هِيَ الاخْتِيَارُ الوَاعِي القَائِمُ عَلَى بَعْضِ المَعَايِيرِ وَالأُسُسِ لِبَدِيلٍ وَاحِدٍ مِنْ بَيْنِ بَدِيلَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورٍ يَرَى أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ القِيَامُ بِهَا. [وَهَذَا هُوَ تَعْرِيفُ هَذِهِ (العَمَلِيَّةِ)]

وَهَذَا يَعْنِي أَنْ يَتَّسِمَ (**القَرَارُ**) بِالوَعْيِ وَالدِّرَاسَةِ وَالاقْتِنَاعِ، لاَ بِالهَوَى أَوِ أَنْ يَكُونَ عَلَى ضَوْءِ

انْفِعَالٍ طَارِئٍ أَوْ بِطَرِيقَةٍ عَفَوِيَّةٍ.

- فَـ(أَفْعَالُ) كُلٍّ مِنَّا تَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ:

١. قِسْم يَنْتُجُ مِنْ تَزَاوُجِ التَّمَعُّنِ وَالحِسَابِ وَالتَّفْكِيرِ، فَيَنْتُجُ عَنْهُ (قَرَارَاتٌ).

٢. وَقِسْم آخَر؛ (لَا شُعُورِيّ) تِلْقَائِيّ إِيحَائِيّ؛ يَنْتَهِي إِلَى أَفْعَالٍ آنِيَّةٍ.

❁❁❁❁❁

مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى: أَنَّ (القَرَارَ) يَكُونُ بِاخْتِيَارٍ بَيْنَ (بَدَائِل).

فَإِنْ لَمْ تُوجَدْ (بَدَائِل) فَلاَ اخْتِيَارَ فِي الحَقِيقَةِ.

وَلِذَلِكَ؛ فَـ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البَقَرَة/ ٢٥٦)، ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ (الكَهْف/ ٢٩). وَعَلَى هَذَا يُحَاسَبُ!

- مَعَ العِلْمِ بِأَنَّ (عَدَمَ **اتِّخَاذِ قَرَارٍ**) هُوَ فِي ذَاتِهِ (قَرَارٌ)، وَلِذَلِكَ يُمْدَحُ (الإِنْسَانُ) أَوْ يُذَمُّ أَحْيَانًا لِعَدَمِ اتِّخَاذِهِ (قَرَارًا).

❁❁❁❁❁

❁ وَتَتَّخِذُ (**عَمَلِيَّةُ اتِّخَاذِ القَرَارِ**) عِدَّةَ مَرَاحِلِ وَوَسَائِل؛ أَبْرَزُهَا:

١. **العَصْفُ الذِّهْنِي** (Brainstorming) وَهُوَ طَرِيقَةٌ عَمَلِيَّةٌ جَمَاعِيَّةٌ إِبْدَاعِيَّةٌ وَقَدْ طَوَّرَهَا (أَلِيكْس أُورزْبُورْن) عَام ١٩٥٣ خِلَالَ كِتَابٍ يُدَّعَى (التَّخَيُّل التَّطْبِيقِيّ).

وَتُسْتَخْدَمُ عَمَلِيَّةُ (العَصْفِ الذِّهْنِيِّ) فِي الحَالَاتِ التَّالِيَةِ: حَلّ المَشَاكِلِ، بِنَاء فِرَقِ العَمَلِ، الإِعْلَانَات التُّجَارِيَّة، التَّخْطِيط العَمَلِيّ، إِدَارَة المَشَارِيعِ.

ثُمَّ كَانَ (**العَصْفُ الذِّهْنِيُّ الإِلِكْتُرُونِيّ** Electronic Brainstorming)؛ وَالَّتِي يَتِمُّ فِيهَا إِلِكْتُرُونِيًّا إِدْرَاجُ وَطَرْحُ (مُقْتَرَحَات) وَ(أَفْكَار) قَدْ تَخْطُرُ بِبَالِ أَيٍّ مِنَ المُجْتَمِعِينَ بِسِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ بِشَكْلٍ عَشْوَائِيٍّ دُونَ مُنَاقَشَةٍ لَهَا [طَرْح كُلِّ (المُقْتَرَحَاتِ) وَ(الأَفْكَارِ)]، وَبَعْدَهَا:

٢. القِيَامُ بِـ(تَحْلِيلِ تِلْكَ المُقْتَرَحَاتِ) مِنْ تَوْضِيحِ نِقَاطِ قُوَّتِهَا وَنِقَاطِ ضَعْفِهَا.

٣. ثُمَّ التَّوَصُّلُ إِلَى (الِاقْتِرَاحِ الأَنْسَبِ) وَ(إِجْرَاءِ التَّعْدِيلَاتِ) عَلَيْهِ؛ حَتَّى:

٤. الوُصُول عَنْ طَرِيقِ التَّصْوِيتِ إِلَى (القَرَارِ الأَنْسَبِ)؛ الَّذِي يُمَكِّنُ الإِنْسَانُ مِنَ القِيَامِ بِأَعْمَالِهِ بِأَعْلَى دَرَجَاتِ (الكَفَاءَة) وَ(الفَاعِلِيَّة) وَبِأَسْرَعِ وَقْتٍ مُمْكِنٍ وَبِاسْتِشَارَةِ جَمِيعِ المُخْتَصِّينَ.

- فَتَتَلَخَّصُ عَمَلِيَّةُ (**العَصْفِ الذِّهْنِيِّ** Brainstorming) فِي طَرْحِ (أَزْمَةٍ) أَوْ (مُشْكِلَةٍ) مُعَيَّنَةٍ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَفْرَادِ، وَتَمُرُّ هَذِهِ (العَاصِفَةُ) **بالمَرَاحِلِ الآتِيَةِ**:

أ. تَوْضِيحِ الأَزْمَةِ وَتَجْزِئَتِهَا.

ب - تَوْلِيدِ الأَفْكَارِ وَعَرْضِهَا.

ج - تَقْوِيمِ الأَفْكَارِ المَطْرُوحَةِ.

❁❁❁❁❁

❁ مَرَاحِلُ (صُنْعِ القَرَارِ):

يَتَّفِقُ كُلُّ البَاحِثِينَ فِي أَنَّ (صُنْعَ القَرَارِ) يَمُرُّ بِمَجْمُوعَةِ مَرَاحِلٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي عَدَدِ هَذِهِ المَرَاحِلِ وَتَرْتِيبِهَا.

- وَتَتَرَاوَحُ هَذِهِ (الخَطَوَاتُ) مَا بَيْنَ (أَرْبَعٍ) وَ(تِسْعٍ) خُطُوَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ يَجِبُ أَنْ تَتِمَّ فِي تَرْتِيبٍ مُحَدَّدٍ.

فَـ(جِرِيفِث) يُحَدِّدُ هَذِهِ المَرَاحِلِ فِي:

- تَحْدِيد وَحَصْر المُشْكِلَةِ.
- تَحْلِيل وَتَقْوِيم المُشْكِلَةِ.
- وَضْع المَعَايِيرِ أَوِ المَقَايِيسِ الَّتِي بِهَا سَوْفَ يَتِمُّ تَقْوِيمُ الحَلِّ أَوْ وَزْنُهُ كَحَلٍّ مَقْبُولٍ وَكَافٍ لِلْحَاجَةِ.
- جَمْع المَعْلُومَاتِ.

• صِيَاغَة وَاخْتِيَار الحَلِّ (أَوِ الحُلُولِ) المُفَضَّلِ وَاخْتِبَاره مُقَدَّمًا.

• وَضْع الحَلِّ المُفَضَّلِ مَوْضِعَ التَّنْفِيذِ.

- أَمَّا (لِتْشِفِيلْد)؛ فَيَضَعُ صُورَةً أُخْرَى عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

• تَعْرِيف القَضِيَّةِ.

• تَحْلِيل المَوْقِفِ القَائِمِ.

• حِسَاب وَتَحْدِيد البَدَائِلِ.

• المُدَاوَلَة.

• الِاخْتِيَار.

- وَيَرَى (**سِيمُون**) أَنَّ (صُنْعَ القَرَارِ) يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِل رَئِيسَةٍ؛ هِيَ:

• اكْتِشَاف المُنَاسَبَاتِ لِصُنْعِ القَرَارِ.

• اكْتِشَاف سُبُلِ العَمَلِ المُمْكِنَةِ.

• الِاخْتِيَار بَيْنَ سُبُلِ العَمَلِ.

وَهُنَاكَ مَنْ يَجْعَلُهَا فِي الخُطُوَاتِ السِّتِّ الآتِيَةِ:

١. تَحْدِيد المُشْكِلَةِ.

٢. تَحْلِيل المُشْكِلَةِ.

٣. تَحْدِيد البَدَائِلِ.

٤. تَقْيِيم البَدَائِلِ.

٥. اِخْتِيَار أَفْضَلِ بَدِيلٍ، وَتَحْوِيلُهُ إِلَى قَرَارٍ.

٦. تَحْوِيل القَرَارِ إِلَى عَمَلٍ فِعْلِيٍّ وَوَضْعِهِ مَوْضِعَ التَّنْفِيذِ.

- وَ(**عَمَلِيَّةُ اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ**) الرَّشِيدَةُ المَنْطِقِيَّةُ الهَادِفَةُ البَصِيرَةُ العَوَاقِبُ، المُسْتَخْدَمُ فِيهَا

التَّمْيِيزِ وَحُسْنُ التَّقْدِيرِ، وَالْمُفْتَرَضُ فِيهَا وُجُودُ فُرْصَةٍ لِلتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَإِمْكَانِ الِاخْتِيَارِ بَيْنَ البَدَائِلِ [وَقَدْ تَكُونُ (العَمَلِيَّةُ) عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ] [مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى العَوَامِلِ الَّتِي تَحِدُّ مِنَ الرُّشْدِ فِي مَجَالِ الإِدَارَةِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى القِيَمِ المُتَعَلِّقَةِ بِالعَوَاطِفِ وَالإِحْسَاسَاتِ، وَمِيزَانِ القِوَى وَدِينَامِيكِيَّةِ الجَمَاعَةِ عِلَاوَةً عَلَى عَوَامِلِ الشَّخْصِيَّةِ]؛ **صُورَتُهَا هِيَ:**

- **تَحْدِيد المُشْكِلَةِ أَوِ المَوْضُوعِ مَثَارِ البَحْثِ.**
- **تَحْلِيل المَوْقِفِ.**
- **تَحْدِيد البَدَائِلِ، وَالتَّدَبُّر فِيهَا.**
- **التَّفْكِير فِي النَّتَائِجِ الَّتِي سَتَتَرَتَّبُ عَلَى الأَخْذِ بِكُلٍّ مِنْ هَذِهِ البَدَائِلِ، وَدِرَاسَة هَذِهِ النَّتَائِجِ.**
- **الِاخْتِيَار بَيْنَ هَذِهِ البَدَائِلِ.**

❁❁❁❁❁

❁ **وَهُنَاكَ عَوَامِل مُؤَثِّرَةٌ فِي (اتِّخَاذِ القَرَارِ)؛ مِنْهَا مَا يَلِي:**

١. أَهْدَافُ (مُتَّخِذِ القَرَارِ):

فَـ(الأَهْدَافُ) هِيَ مِحْوَرُ التَّوْجِيهِ الأَسَاسِيِّ لِكُلِّ (العَمَلِيَّاتِ) الَّتِي يَقُومُ بِهَا (مُتَّخِذُ القَرَارِ)، لِذَلِكَ؛ فَإِنَّ بُؤْرَةَ الِاهْتِمَامِ فِي (اتِّخَاذِ القَرَارِ) هِيَ اخْتِيَارُ أَنْسَبِ الوَسَائِلِ الَّتِي يُتَوَقَّعُ أَنَّهَا سَوْفَ تُحَقِّقُ الأَهْدَافَ المَرْجُوَّةَ التَّكْتِيكِيَّةَ أَوْ الِاسْتِرَاتِيجِيَّةِ.

٢. الثَّقَافَة السَّائِدَة فِي المُجْتَمَعِ:

الإِنْسَانُ مِنَّا يَتَأَثَّرُ بِالبِيئَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا [فَالإِنْسَانُ ابْنٌ لِبِيئَتِهِ]؛ فَيَتَأَثَّرُ بِثَقَافَةِ وَنَسَقِ قِيَمِ مُجْتَمَعِهِ، وَمِنْ ثَمَّ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ الأُطُرِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ لِلْمُجْتَمَعِ عِنْدَ اتِّخَاذِ القَرَارِ.

٣. الوَاقِع وَمَكْنُونَاته مِنَ الحَقَائِقِ وَالمَعْلُومَاتِ المُتَاحَةِ:

مَعَ المُحْتَوى القِيَمِيِّ وَالأَخْلَاقِيِّ؛ يَجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ فِي الِاعْتِبَارِ الحَقِيقَةِ وَالوَاقِعِ وَمَا تُرَجِّحُهُ مِنْ وَسِيلَةٍ أَوْ بَدِيلٍ عَلَى بَدِيلٍ. أَيْ لَابُدَّ مِنْ مُحْتَوى وَاقِعِيٍّ بِالإِضَافَةِ إِلَى المُحْتَوى الأَخْلَاقِيِّ.

٤. العَوَامِل السُّلُوكِيَّة:

۞ وَيُمْكِنُ تَحْدِيدُ (الإِطَارِ السُّلُوكِيِّ) لِـ(مُتَّخِذِ القَرَارِ) فِي ثَلَاثَةِ جَوَانِبَ؛ هِيَ:

١. البَوَاعِث النَّفْسِيَّة لَدَى الفَرْدِ، وَمَدَى مَعْقُولِيَّتِهَا.

٢. البِيئَة النَّفْسِيَّة لِلْفَرْدِ.

٣. دُور التَّنْظِيمِ ذَاتِهِ فِي تَهْيِئَةِ البِيئَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلْفَرْدِ مِنْ خِلَالِ:

- تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ لَهُ.
- إِتَاحَةِ الفُرَصِ لِلْمُمَارَسَةِ الإِدَارِيَّة، وَاكْتِسَابِ الخِبْرَةِ دَاخِلِ التَّنْظِيمِ.
- مَدِّهِ بِالمَعْلُومَاتِ وَالبَيَانَاتِ وَالبَدَائِلِ.
- إِسْنَادِ المَسْؤُولِيَّاتِ لَهُ مَعَ مَنْحِهِ القَدْرِ اللَّازِمِ مِنَ السُّلْطَةِ.

۞۞۞۞۞

۞ وَبِالنِّسْبَةِ لأَيِّ شَّخْصٍ فِي حَيَاتِهِ؛ لاَ بُدَّ مِنْ:

(التَّخْطِيطُ) - (التَّنْظِيمُ) - (التَّوْجِيهُ) - تَنْمِيَةُ الكِفَايَاتِ - الرِّقَابَةُ.

تَحْدِيدُ الأَهْدَافِ وَالغَايَاتِ ← الأَهْدَافُ التَّنْظِيمِيَّةُ ← تَحْدِيد المَصَادِرِ وَمَنْ يُمْكِنُ الاسْتِعَانَةُ بِهِمْ [التَّوْظِيف] ← المُدْخَلاتُ (دَوَافِع - بَيَانَات - مُشْكِلَة - إِمْكَانِيَّات - مَوَارِد - عَوَامِل بِيئِيَّة [وَمَعْرِفَة الأَوْضَاعِ الحَالِيَّةِ]- ...) ← ... ←

۞۞۞۞۞

وَ(القَرَارُ) هُوَ: الاخْتِيَارُ المُدْرِكُ الوَاعِي بَيْنَ عَدَدٍ مِنَ البَدَائِلِ المُحْتَمَلَةِ لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ أَهْدَافٍ مُحَدَّدَةٍ مَصْحُوبًا بِتَحْدِيدِ إِجْرَاءَاتِ التَّنْفِيذِ.

أَوْ هُوَ: عَمَلِيَّةُ إِنْتَاجِ مَعْلُومَاتٍ تَلْبِيَةً لإِشَارَاتٍ أَوْ بَيَانَاتٍ أَوْ مَعْلُومَاتٍ حَوْلَ آخَرَ نَتِيجَةً لِرَدِّ فِعْلٍ مُعَيَّنٍ.

۞۞۞۞۞

۞ فَـ(القَرَارُ) يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ رَئِيسِيَّةٍ؛ هِيَ:

أ. المُدْخَلاَت.

ب. الأَوْضَاع الحَالِيَّة.

ج. الفِعْل أَوِ اخْتِيَار البَدِيل الأَمْثَل.

❁❁❁❁❁

❁ فَـ(العَنَاصِرُ الأَسَاسِيَّةُ) ثَلاَثَةٌ؛ هِيَ:

أَهْدَافٌ - مُدْخَلاَتٌ - تَحْقِيقُ الهَدَفِ.

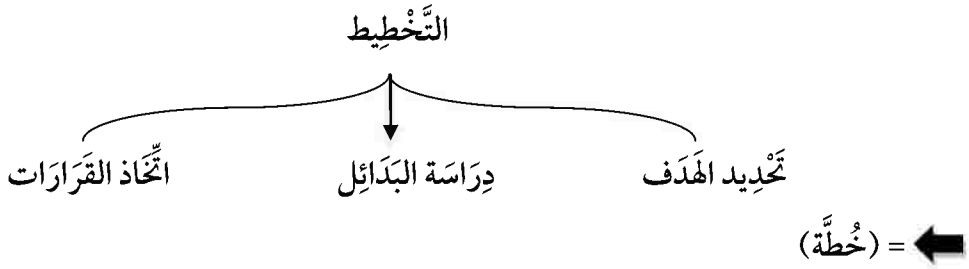

⬅ = (خُطَّة)

❁❁❁❁❁

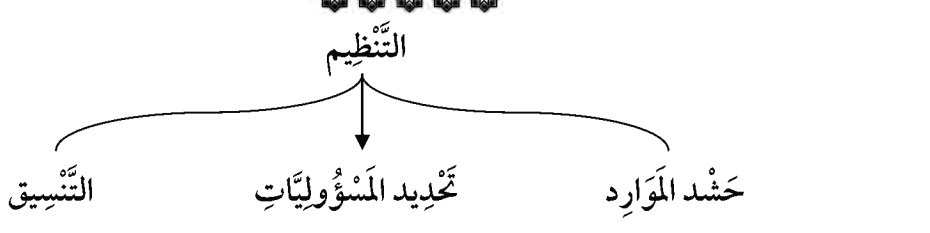

⬅ = (هَيْكَل تَنْظِيمِيّ)

❁❁❁❁❁

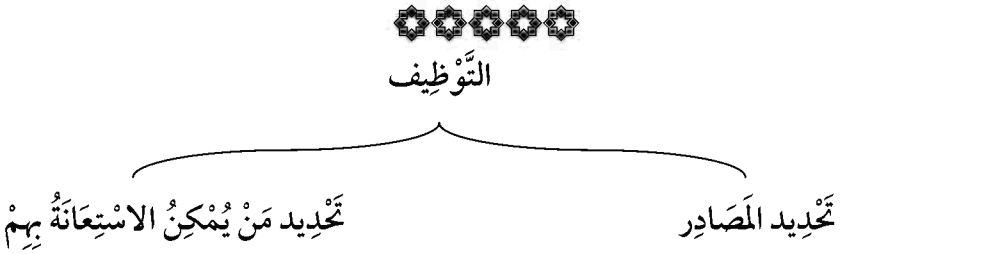

⬅ = (عُنْصُر بَشَرِيّ)

❁❁❁❁❁

التَّدْرِيب التَّحْضِير

⬅ = (أَدَاء فَعَّال)

التَّقْيِيم

قَبْل الأَدَاءِ أَثْنَاء الأَدَاءِ بَعْد الأَدَاءِ

⬅ = (أَعْمَال تَصْحِيحِيَّة)

فَ: (خُطَّة) وَ (هَيْكَل تَنْظِيمِيّ) وَ (عُنْصُر بَشَرِيّ) وَ (أَدَاء فَعَّال) وَ (أَعْمَال تَصْحِيحِيَّة) = تَحْقِيق الهَدَف

۞ وَلَكِنْ .. مَا هِيَ صِفَاتُ "الهَدَف"؟

أَكْتَفِي بِبَعْضِ الصِّفَاتِ؛ وَهِيَ:

- **أَوَّلاً**: أَنْ يَكُونَ **وَاضِحًا** لاَ غَبَشَ فِيهِ.

فَيَكُونُ مَعَ (الإِنْسَانِ) مِعْيَارٌ لِقِيَاسِ (الهَدَفِ)، وَلِلْكَشْفِ عَمَّا أُنْجِزَ مِنْهُ، وَمَا بَقِيَ. مَعَ تَحْدِيدِ تَوْقِيتٍ لِإِنْجَازِهِ؛ فَـ(الزَّمَنُ) لَيْسَ مِلْكًا لَنَا إِلَى مَا لَا نِهَايَةٍ، وَطَاقَاتُنَا قَابِلَةٌ لِلنَّفَادِ.

تَنْبِيه: تَتَعَدَّدُ أَهْدَافُ النَّاسِ فِي الحَيَاةِ؛ فَهَذَا هَدَفُهُ المَالُ، وَهَذَا هَدَفُهُ المَنْصِبُ، وَهَذَا هَدَفُهُ المَكَانَةُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ، وَهَذَا هَدَفُهُ الشُّهْرَةُ، وَهَذَا ...، وَهَذَا ...، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

أَمَّا المُسْلِمُ الحَقُّ فَهَدَفُهُ الأَسَاسُ وَاضِحٌ وُضُوحَ الشَّمْسِ؛ وَهُوَ رِضَا الله تَعَالَى وَإِحْرَازُ ثَوَابِهِ، وَلِذَلِكَ فَجَمِيعُ أَعْمَالِ المُسْلِمِ وَجَمِيعُ تَطَلُّعَاتِهِ بِمَثَابَةِ خَدَمٍ وَوَسَائِلَ وَآلِيَّاتٍ تُمَكِّنُهُ مِنْ الوُصُولِ إِلَى هَذَا الهَدَفِ الرَّئِيسِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (الأَنْعَام/١٦٢ - ١٦٣).

- **ثَانِيًا: أَنْ يَكُونَ مُحَدَّدًا وَدَقِيقًا** فِي البِدَايَةِ.

وَذَلِكَ مِنْ خِلاَلِ سُلُوكِ المَنْهَجِ العِلْمِيِّ فِي تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَفْشَلُونَ فِي جَوَانِبَ كَثِيرَةٍ مِنْ حَيَاتِهِمْ بِسَبَبِ عَدَمِ التَّحْدِيدِ الدَّقِيقِ لأَهْدَافِهِمْ .. إِنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ -عَلَى وَجْهِ الدِّقَّةِ- مَاذَا يُرِيدُونَ؟ مَعَ أَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا!!!

فَهُنَاكَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ تَحْدِيدَ هَدَفِهِ بِوُضُوحٍ، وَيَتَحَرَّكُ كَثِيرًا دُونَ تَحْقِيقِ أَيِّ خُطْوَةٍ لِلأَمَامِ.

فَكُنْ "وَاضِحًا تُجَاهَ أَهْدَافِكَ، وَكُنْ مَرِنًا فِي تَحْقِيقِهَا".

فَعَمَلِيَّةُ (تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ) لَيْسَتْ عَمَلِيَّةً سَهْلَةً وَهَيِّنَةً؛ بَلْ صَعْبَة وَشَاقَّة وَخَطِيرَة .. لِذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى آلِيَّةِ وَتَقْنِيَةِ تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ.

وَمِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ ضَبَابِيَّةِ أَهْدَافِنَا وَعَدَمِ وُضُوحِهَا: عَدَمُ مَعْرِفَتِنَا كَيْفَ نُحَدِّدُ أَهْدَافَنَا؟ وَعَدَمُ بَذْلِنَا جَهْدًا كَافِيًا فِي رَسْمِهَا وَتَحْدِيدِهَا. مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى انْعِدَامِ إِمْكَانِيَّةِ قِيَاسِهَا، بَلْ وَأَيْضًا إِلَى إِدْرَاكِهَا بِطَرِيقَةٍ مُشَوَّشَةٍ، وَلاَبُدَّ مِنْ تَوْجِيهِ طَاقَتِكَ الجِسْمِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ لِتَحْقِيقِ هَذَا الهَدَفِ بَلْ وَالوُصُولِ إِلَى دَرَجَةِ التَّفَوُّقِ وَالتَّمَيُّزِ.

وَلِذَا يَحْتَاجُ الوَاحِدُ مِنَّا أَنْ يُحَدِّدَ هَدَفًا وَاحِدًا وَلَيْسَ مَجْمُوعَةَ أَهْدَافٍ يَخْتَارُ بَيْنَهَا؛ وَكُلَّمَا اتَّجَهَ لِتَحْقِيقِ أَحَدِهَا سُرْعَانَ مَا يُعَاوِدُهُ الحَنِينُ لِلأَهْدَافِ الأُخْرَى. . .

فَحَاوِلْ أَنْ تُنْجِزَ شَيْئًا وَلَوْ قَلِيْلاً .. وَلَوْ صَغِيرًا!

تَرَى مَنْ يُقْبِلُ عَلَى كِتَابٍ فَيَقْرَأُ مِنْهُ صَفَحَاتٍ وَيَتْرُكُهُ لآخَرَ فَآخَرَ دُونَ أَنْ يُتِمَّ كِتَابًا وَلاَ عِلْمًا ... وَهَكَذَا!!!

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ الإِنْسَانُ لأَهْدَافٍ أُخْرَى.. رُبَّمَا لَمْ تَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ فِي البِدَايَةِ.

فَـ(الإِنْسَانُ) عِنْدَمَا يَرْسُمُ هَدَفًا؛ فَإِنَّهُ يَرْسُمُهُ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ التَّقْيِيمِ لِعَوَامِلِ مَوْجُودَةٍ خَارِجَ طَبِيعَةِ عَمَلِهِ وَخَارِجَ إِرَادَتِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَتِمُّ تَقْيِيمُهَا عَلَى نَحْوٍ خَاطِئٍ، كَمَا أَنَّهَا عُرْضَةٌ لِلتَّغَيُّرِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَغَيُّرِ إِمْكَانَاتِنَا. وَلِهَذَا كُلِّهِ؛ فَإِنَّ (الهَدَفَ) يَجِبُ أَنْ يَكُونَ (مَرِنًا) لَهُ حُدُودٌ دُنْيَا، وَلَهُ

حُدُودٌ عُلْيَا.

فَعَلَى (الإِنْسَانِ) أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ (النَّتَائِجَ) الَّتِي يَتَطَلَّعُ إِلَى الوُصُولِ إِلَيْهَا وَالحُصُولِ عَلَيْهَا تَظَلُّ فِي دَائِرَةِ التَّوَقُّعِ وَالتَّخْمِينِ.

وَلِذَا؛ فَعَلَى (الإِنْسَانِ) أَنْ يُرَاجِعَ نَفْسَهُ فِي كُلِّ فَتْرَةٍ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ قَرَارَاتِهِ وَأَهْدَافِهِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُحَاوِلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى شَيْءٍ فَيَصِلُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ ذِي قِيمَةٍ قَدْ تَكُونُ أَكْبَرَ، مَثَلاً (كُولُومْبُس) أَرَادَ الوُصُولَ إِلَى (الهِنْدِ) فِي آسْيَا مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ؛ فَاكْتَشَفَ (أَمْرِيكَا). وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ أَجْرَى أَبْحَاثًا -مَثَلاً- لِلْوُصُولِ إِلَى دَوَاءٍ مُعَيَّنٍ؛ فَوَصَلَ إِلَى غَيْرِهِ.

فَفِي الحَقِيقَةِ؛ إِنَّ (الأَهْدَافَ) وَ(الاخْتِيَارَاتِ) لَيْسَتْ شَيْئًا ثَابِتًا مُحَدَّدًا، فَكَثِيرًا مَا يُغَيِّرُ الإِنْسَانُ أَهْدَافَهُ فِي الحَيَاةِ.

فَلاَبُدَّ مِنْ: "(المُرُونَة) فِي المُخَطَّطِ وَالتَّشْكِيلِ بِحَيْثُ يَتَلاَئَمَانِ مَعَ (الظُّرُوفِ)".

- **ثَالِثًا: تَنَاسُقُ الأَهْدَافِ** وَتَكَامُلُهَا وَعَدَمُ تَعَارُضِهَا.

- **رَابِعًا: وَاقِعِيَّة الهَدَفِ** وَأَنْ لاَ يَكُونَ مُسْتَحِيلاً؛ وَذَلِكَ بِإِمْكَانِيَّةِ تَحْقِيقِهِ فِي ظِلِّ ظُرُوفِكَ الرَّاهِنَةِ وَإِمْكَانَاتِكَ المُتَاحَةِ، وَمِنْ ثَمَّ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَبْعِدَ الأَهْدَافَ الَّتِي يَتَعَذَّرُ عَلَيْكَ تَحْقِيقُهَا.

قَالَ (**فَرَانْكِلِين رُوزْفِلْت**): "إِذَا أَرَدْتَ النَّجَاحَ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ الأَشْيَاءَ الصَّعْبَةَ الَّتِي تَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ بِاسْتِطَاعَتِكَ أَنْ تَفْعَلَهَا".

فَـ(الهَدَفُ المُلاَئِمُ)؛ هُوَ ذَلِكَ الهَدَفُ الَّذِي يَتَحَدَّى وَلَا يُعْجِزُ.

وَ(التَّحَدِّي): يَتَطَلَّبُ تَفْجِيرَ طَاقَاتٍ كَامِنَةٍ أَوِ اسْتِخْدَامَ مَوَارِدٍ مُهْمَلَةٍ، لَكِنَّهَا جَمِيعًا (مُمْكِنَةٌ).

أَمَّا (الهَدَفُ السَّهْلُ)؛ فَإِنَّهُ لَا يُؤَدِّي إِلَى حَشْدِ إِمْكَانَاتِنَا الذَّاتِيَّةِ، وَلَا إِلَى تَشْغِيلِ أَجْهِزَتِنَا النَّفْسِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ.

نَعَمْ؛ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ "الهَدَفُ" (صَعْبًا) أَوْ (شَاقًّا)، وَلَكِنَّهُ لاَ يَكُونُ (مُسْتَحِيلاً). حَاوَلَ

(عَبَّاسُ بْنُ فِرْنَاسَ) أَنْ يَطِيرَ بِجَنَاحَيْنِ وَلَمْ يَنْجَحْ، وَحَاوَلَ إِخْوَانُ (رَايَت) أَنْ يَطِيرَا بِطَائِرَةٍ. وَهَكَذَا ...

فَانْشُدْ أَهْدَافًا لِنَفْسِكَ، وَلَا تَجْعَلْهَا صَغِيرَةً فَتَصْغُرُ نَفْسُكَ بِصِغَرِهَا، وَالتَّعَبُ فِي نَيْلِ الأَهْدَافِ وَاحِدٌ؛ سَوَاءًا كَانَ (الهَدَفُ) وَالمَطْمَحُ صَغِيرًا أَمْ كَبِيرًا، فَلَنْ تُدْرِكَهُ بِغَيْرِ جِدٍّ وَكَدٍّ وَتَعَبٍ؛ فَلِمَ لَا يَكُونُ الطُّمُوحُ كَبِيرًا يَسْتَحِقُّ تَعَبَكَ وَتَضْحِيَّاتِكَ؟

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ المَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ كَطَعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ

وَقِيلَ:

بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

وَتَنَبَّهْ لِـ(**تَرْتِيبِ الأَوْلَوِيَّاتِ**)؛ فَتَبْدَأُ بِأَهَمِّ المَهَمَّاتِ، ثُمَّ الأَهَمِّ فَالمُهِمِّ، وَتُعْطِي كُلَّ شَيْءٍ حَقَّهُ مِنَ العِنَايَةِ، وَتَهْتَمُّ بِتَنْظِيمِ وَقْتِكَ حَتَّى لَا يَضِيعُ مِنْكَ شَيْءٌ دُونَ فَائِدَةٍ.

وَ(**الوَاقِعِيَّةُ**) يَجِبُ أَنْ تَتَحَقَّقَ عَلَى مُسْتَوَيَيْنِ؛ هُمَا:

أ- عَلَى مُسْتَوَى كُلِّ هَدَفٍ عَلَى حِدَةٍ، أَيْ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُمْكِنَ التَّحَقُّقِ.

ب- عَلَى مُسْتَوَى الأَهْدَافِ مُجْتَمِعَةٍ، أَيْ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا مُمْكِنَةَ التَّحَقُّقِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

- **خَامِسًا**: **صِيَاغَةُ الأَهْدَافِ بِشَكْلٍ قَابِلٍ لِلْقِيَاسِ**؛ مِنْ أَجْلِ تَحْدِيدِ نِسْبَةِ النَّجَاحِ فِي تَحْقِيقِهَا، وَذَلِكَ بِرَبْطِهَا بِأَمْرٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الأُمُورِ التَّالِيَةِ:

أ. الزَّمَن. ب. الكِمِّيَّة. جـ. التَّكْلُفَة.

- **سَادِسًا**: **تَرْتِيبُ الأَهْدَافِ بِحَسَبِ أَهَمِّيَّتِهَا**.

- **سَابِعًا**: **أَنْ تَكُونَ الأَهْدَافُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ**؛ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ اسْتِرَاتِيجِيَّةً (رَئِيسَةً) أَوْ

تِكْتِيكِيَّةً (فَرْعِيَّةً)، فَالنَّوْعُ الأَوَّلُ يَتَضَمَّنُ الثَّانِي، مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى عَدَمِ الخَلْطِ بَيْنَهُمَا.

- وَبَدْهِيٌّ أَنَّ الأَهْدَافَ الَّتِي نُحَدِّدُهَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي دَائِرَةِ الحَلاَلِ المَشْرُوعِ المُبَاحِ [الِاسْتِسْلَام لِشَرْعِ اللهِ، وَإِلَّا فَالخُسْرَانُ المُبِينُ].

❁❁❁❁❁

وَالإِنْسَانُ (**مُتَّخِذُ القَرَارِ**) لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ (**حُرًّا**) حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَخْتَارَ بَيْنَ البَدَائِلِ وَيَتَّخِذَ القَرَارَ المُنَاسِبَ. **فَهَلْ تُدْرِكُ مَعْنَى (الحُرِّيَّةِ)؟**

إِنَّهَا أَثْمَنُ شَيْءٍ عِنْدَ أَصْحَابِهَا، وَعِنْدَهُمْ؛ لاَ يُعَدُّ الإِنْسَانُ إِنْسَانًا إِلاَّ بِهَا!

فَهَلْ أَعْمَلْتَ ذِهْنَكَ فِي هَذِهِ الكَلِمَةِ ... (الحُرِّيَّة)؟ .. وَهَلْ تَعْرِفُ قِيمَتَهَا؟ ... وَهَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِحَرَاسَتِهَا مَهْمَا كَلَّفَكَ ذَلِكَ؟ ..

هَلْ .. وَهَلْ .. أَسْئِلَةٌ كَثِيرَةٌ تَحْتَاجُ مِنْكَ (إِجَابَة) .. صَرِيحَة .. وَصَادِقَة!

فَهَلْ تَمْلِكُ (الإِجَابَةَ)؟ ..

❁❁❁❁❁

وَلِنَتَعَرَّفْ فِي البِدَايَةِ عَلَى مَعْنَى (**الحُرِّيَّةِ**)؛ فَالتَّعْرِيفُ العَامُّ لِلْحُرِّيَّةِ؛ **هُوَ**:

(الحُرِّيَّةُ) هِيَ "غِيَابُ الإِكْرَاهُ"... "الاسْتِقْلاَلِيَّةُ مِنَ القُيُودِ".

(الحُرِّيَّة) .. هِيَ إِمْكَانِيَّةُ الفَرْدِ دُونَ أَيِّ جَبْرٍ أَوْ ضَغْطٍ خَارِجِيٍّ عَلَى اتِّخَاذِ قَرَارٍ أَوْ تَحْدِيدِ (خِيَارٍ) مِنْ عِدَّةِ (إِمْكَانِيَّاتٍ) مَوْجُودَةٍ وَمُتَاحَةٍ.

(الحُرِّيَّة) .. هِيَ الشُّعُورُ بِالقُدْرَةِ عَلَى التَّعَامُلِ وَالتَّحَكُّمُ مَعَ (الخِيَارَاتِ) المُخْتَلِفَةِ المُتَاحَةِ، وَالاخْتِيَارِ الإِرَادِيِّ الشُّعُورِيِّ الوَاعِي لأَحَدِهَا.

فَالإِنْسَانُ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ (حُرٌّ) عِنْدَ مُمَارَسَتِهِ لإِرَادَتِهِ فِي اخْتِيَارِ أَحَدِ (الخِيَارَاتِ) مِنْ بَيْنَ (خِيَارَاتٍ) كَثِيرَةٍ مُتَاحَةٍ لَهُ. [فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِمَا هُوَ (مُتَاحٌ) وَ(مُمْكِنٌ)]

(الحُرِّيَّة) .. هِيَ التَّحَرُّرُ مِنَ القُيُودِ الَّتِي تُكَبِّلُ طَاقَاتِ الإِنْسَانِ وَإِنْتَاجِهِ؛ سَوَاءٌ كَانَتْ قُيُودًا

مَادِّيَّةً أَوْ قُيُودًا مَعْنَوِيَّةً، فَهِيَ تَشْمَلُ التَّخَلُّصَ مِنَ العُبُودِيَّةِ لِشَخْصٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ لِلَذَّاتِ، ... وَالتَّخَلُّصَ مِنَ الضُّغُوطِ المَفْرُوضَةِ عَلَى شَخْصٍ مَا لِتَنْفِيذِ غَرَضٍ مَا، وَالتَّخَلُّصَ مِنَ الإِجْبَارِ وَالفَرْضِ.

❁❁❁❁❁

مَعَ العِلْمِ؛ أَنَّ هَذِهِ التَّعَارِيفَ تَلْتَقِي مَعَ تَعْرِيفِ (الذَّكَاءِ):

فَـ(الذَّكَاءُ) هُوَ: انْتِقَاءُ البَدِيلِ الأَمْثَلِ مِنْ ضِمْنِ عِدَّةِ بَدَائِلٍ (خِيَارَاتٍ) مُمْكِنَةٍ فِي ضَوْءِ الغَايَاتِ المُحَدَّدَةِ وَالمَعَايِيرِ المُقَرَّرَةِ سَلَفًا.

إِنَّ أَسَاسَ (الذَّكَاءَ) أَوِ (التَّفْكِيرِ)، وَكَذَلِكَ أَسَاسَ (السِّيَاسَةِ) [وَهِيَ: فَنُّ (المُمْكِنِ)؛ وَلَكِنْ لِلسَّيْطَرَةِ] وَأَسَاسَ (الإِدَارَةِ) [وَهِيَ فَنُّ: قِيَادَةِ وَتَوْجِيهِ أَنْشِطَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ نَحْوَ تَحْقِيقِ هَدَفٍ مُشْتَرَكٍ] وَ(القِيَادَةِ)؛ هُوَ: الإِرَادَةُ، وَالتَّعَامُلُ مَعَ الخِيَارَاتِ المُتَاحَةِ بِشَكْلٍ وَاعٍ [التَّفْكِيرِ الإِرَادِيّ البَشَرِيّ الوَاعِي]

[فَـ(صُنْعُ القَرَارِ) اخْتِيَارٌ بَيْنَ المُمْكِنَاتِ مِنَ الخِيَارَاتِ المُتَاحَةِ]

فَـ(الحُرِّيَّةُ) وَمُمَارَسَتُهَا مَرْهُونَةٌ بِمُمَارَسَةِ (الخِيَارَاتِ المُتَاحَةِ)، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ خِيَارَاتٌ مُتَاحَةٌ؛ فَلَنْ تَكُونَ هُنَاكَ (حُرِّيَّةٌ) يُمْكِنُ مُمَارَسَتُهَا.

وَمِقْدَارُ (الحُرِّيَّةِ) مُرْتَبِطٌ بِكَمِّيَّةِ (الخِيَارَاتِ المُتَاحَةِ)؛ فَالمُخَيَّرُ بَيْنَ وَضْعَيْنِ أَوْ حَالَتَيْنِ (حُرٌّ) وَلَكِنَّ الأَكْثَرَ مِنْهُ حُرِّيَّةً: المُخَيَّرُ بَيْنَ عَشْرِ حَالاَتٍ، وَالأَكْثَرَ مِنْهُمَا هُوَ المُخَيَّرُ بَيْنَ أَلْفِ اخْتِيَارٍ، وَهَكَذَا، فَكُلَّمَا ازْدَادَتِ الخِيَارَاتُ المُتَاحَةُ ازْدَادَتِ (الحُرِّيَّةُ)، وَبِالتَّالِي ازْدَادَتْ إِمْكَانِيَّةُ أَوِ احْتِمَالُ تَحْقِيقِ الأَهْدَافِ.

يَقُولُ (هِيدْجَر): "إِنَّ الإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ، وَمَا القُدْرَةُ عَلَى الاخْتِيَارِ إِلاَّ تَعْرِيفٌ لِلْحُرِّيَّةِ".

فَهِيَ عَمَلِيَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ مُعَقَّدَةٌ؛ مِنَ الصَّعْبِ التَّنَبُّؤِ بِنَتَائِجِهَا؛ فَالنَّتِيجَةُ تَكُونُ مُخْتَلِفَةً فِي كُلِّ مَرَّةٍ؛

إِذَا حَدَثَتْ: أَيَّةُ تَغَيُّرَاتٍ (لِلإِنْسَانِ)، أَوْ .. لِتِلْكَ (الخِيَارَاتِ).

❁❁❁❁❁

وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ يَأْتِي التَّكْبِيلِ مِنْ (دَاخِلِ الإِنْسَانِ) نَفْسِهِ!!

فَكَثِيرًا مَا يُكَبِّلُ (الإِنْسَانُ) نَفْسَهُ وَيُقَيِّدُهَا وَيُسَلْسِلُهَا بِـ(أَوْهَامٍ) وَ(خَيَالاَتٍ) لاَ وُجُودَ لَهَا .. كَثِيرًا مَا يُعَيِّشُ نَفْسَهُ فِي وَهْمِ (الخَوْفِ) وَ(الكَبْتِ)؛ فَيَقُومُ بِمَنْعِ نَفْسِهُ وَكَبْتِ وَقَمْعِ أَفْكَارِهِ وَأَرَآئِهِ؛ فَلاَ يُعَبِّرُ عَنْ رَأْيِهِ بِتَجَرُّدٍ وَجَرْأَةٍ وَصَرَاحَةٍ .. مِنْ (دَاخِلِهِ) لاَ مِنْ قِبَلِ (الآخَرِينَ).

... (الخَوْف) -أَيْضًا- مِنْ عَدَمِ التَّوَافُقِ مَعَ الآخَرِينَ؛ وَيَرْجِعُ ذَلِكَ منْ خَوْفِ الإِنْسَانِ أَنْ يَظْهَرَ أَمَامَ الآخَرِينَ بِمَظْهَرٍ يَدْعُو لِلسُّخْرِيَةِ، لأَنَّهُ أَتَى بِشَيْءٍ لَيْسَ بِالمَأْلُوفِ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ. ..

أَوِ (الخَوْف) مِنِ اتِّهَامِ الآخَرِينَ لأَفْكَارِهِ بِالسَّخَافَةِ أَوِ السَّذَاجَةِ. ...

وَيَتَمَثَّلُ -أَيْضًا- فِي الخَوْفِ مِنَ الفَشَلِ، وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى عَدَمِ ثِقَةِ الفَرْدِ بِنَفْسِهِ وَقُدْرَاتِهِ عَلَى ابْتِكَارِ أَفْكَارٍ جَدِيدَةٍ وَإِقْنَاعِ الآخَرِينَ بِهَا. ...

وَلِلتَّغَلُّبِ عَلَى هَذَا؛ يَجِبُ أَنْ يُدَعِّمَ الإِنْسَانُ ثِقَتَهُ بِنَفْسِهِ وَقُدُرَاتِهِ وَمَوَاهِبِهِ، وَبِأَنَّهُ لَا يَقِلُّ كَثِيرًا فِي ذَلِكَ عَنِ العَدِيدِ مِنَ العُلَمَاءِ الَّذِينَ أَبْدَعُوا وَاخْتَرَعُوا وَاكْتَشَفُوا. .. فَلِمَاذَا لَا تَصْنَعُ مِثْلَمَا صَنَعُوا. .. وَلِمَاذَا لَا تُبْدِعُ مِثْلَمَا أَبْدَعُوا؟

❁❁❁❁❁

هُنَاكَ مُعَوِّقَاتٌ إِدْرَاكِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ؛ مِثْلُ: أَنْ يَتَبَنَّى (الإِنْسَانُ) طَرِيقَةً وَاحِدَةً للتَّفْكِيرِ وَالنَّظَرِ إِلَى الأَشْيَاءِ وَالأُمُورِ؛ فَهُوَ لاَ يُدْرِكُ الشَّيْءَ إِلاَّ مِنْ خِلاَلِ أَبْعَادٍ تُحَدِّدُهَا النَّظْرَةُ الضَّيِّقَةُ الْمُقَيَّدَةُ [وَأَحْيَانًا: الأُحَادِيَّةُ] الَّتِي تُخْفِي عَنْهُ الخَصَائِصَ الأُخْرَى لِهَذَا الشَّيْءِ.

❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ (الاِضْطِرَارُ)؛ وَهُوَ: الوُقُوعُ فِي الضَّرُورَةِ.

وَ(الْمُضْطَرُّ) هُوَ الَّذِي أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ؛ أَيْ: الحَاجَة.

وَالاِضْطِرَارُ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ بِـ(إِكْرَاهٍ).

قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (البَقَرَة/ ١٧٣)؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (المَائِدَة/ ٣). [قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ**﴾ أَيْ: غَيْرَ مَائِلٍ لِحَرَامٍ، وَالتَّجَانُفُ: التَّمَايُلُ، وَالجَنَفُ: المَيْلُ، وَالإِثْمُ: الحَرَامُ]

فَالآيَةُ إِيمَاءٌ إِلَى عِلَّةِ (الرُّخْصَةِ)؛ وَهِيَ: رَفْعُ البَغْيِ وَالعُدْوَانِ بَيْنَ الأُمَّةِ، وَهِيَ أَيْضًا إِيمَاءٌ إِلَى حَدِّ (الضَّرُورَةِ)؛ وَهِيَ الحَاجَةُ الَّتِي يَشْعُرُ عِنْدَهَا مَنْ لَمْ يَكُنْ دَأْبُهُ البَغْيَ وَالعُدْوَانِ بِأَنَّهُ سَيَبْغِي وَيَعْتَدِي.

وَهَذَا تَحْدِيدٌ مُنْضَبِطٌ؛ فَإِنَّ النَّاسَ مُتَفَاوُتُونَ فِي تَحَمُّلِ الجَوْعِ وَلِتَفَاوُتِ الأَمْزِجَةِ فِي مُقَاوَمَتِهِ، وَمِنَ الفُقَهَاءِ مَنْ يُحَدِّدُ (الضَّرُورَةَ) بِخَشْيَةِ الهَلَاكِ؛ وَمُرَادُهُمُ الإِفْضَاءُ إِلَى المَوْتِ وَالمَرَضِ، وَإِلَّا فَإِنَّ حَالَةَ الإِشْرَافِ عَلَى المَوْتِ لَا يَنْفَعُ عِنْدَهَا الأَكْلُ.

❁❁❁❁❁

وَبَعْدُ؛ فَلَا تَسْخَرْ مِنْ نَفْسِكَ .. وَلَا تُقَلِّلْ مِنْ عَمَلِكَ .. وَلَا تَحْقُرْ مِنْ شَأْنِ نَفْسِكَ [كَمَا لَا تَحْقُرْ مِنْ شَأْنِ الآخَرِينَ]؛ فَلِمَ تَشْعُرُ -دَائِمًا- أَنَّكَ أَقَلُّ مِنْ غَيْرِكَ!!!

❁❁❁❁❁

إِنَّ (الإِنْسَانَ) لَيَطْرَبُ مِنَ القَوْلِ بِأَنَّهُ (حُرٌّ) .. يَقُولُ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ!

يَمْلِكُ حُرِّيَّةَ أَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ .. وَأَنْ يَقُولَ وَيُبْدِيَ رَأْيَهُ وَوِجْهَةَ نَظَرِهِ الخَاصَّةِ .. وَأَنْ يَخْتَارَ المَكَانَ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ وَالعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ .. وَمَا شَابَهَ.

قَدْ يَتَصَوَّرُ الإِنْسَانُ أَنَّهُ (حُرٌّ) فِي أَيِّ شَيْءٍ، .. وَلَا يَخْضَعُ لِرِبْقَةِ وَنِيرِ أَيِّ شَيْءٍ!!

(حُرٌّ) أَنْ يُحَطِّمَ كُلَّ القُيُودِ وَالأَصْفَادِ وَالأَغْلَالِ، وَأَنْ يُزِيلَ كُلَّ الحَوَاجِزِ وَالمَوَانِعِ وَالسُّدُودِ ...

(حُرٌّ) أَنْ يَثُورَ عَلَى النُّظُمِ وَالقَوَانِينِ وَالأَعْرَافِ ...

(حُرٌّ) أَنْ يَقُولَ وَأَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ ...

فَكُلُّ شَيْءٍ .. (مُبَاحُ)!!!

إِنَّهُ يَمْلِكُ كُلَّ أَنْوَاعِ (الْحُرِّيَّةِ): حُرِّيَّةِ التَّفْكِيرِ .. حُرِّيَّةِ الإِرَادَةِ .. حُرِّيَّةِ العَقِيدَةِ .. حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ .. حُرِّيَّةِ القَوْلِ .. حُرِّيَّةِ الفِعْلِ ... وَ ...

إِطْلَاقِ (الْحُرِّيَّاتِ) وَمُمَارَسَاتِهَا .. بِكَافَّةِ الأَشْكَالِ وَالصُّوَرِ؛ بِلَا مَسْؤُولِيَّةٍ .. وَبِلَا ضَوَابِطٍ .. وَبِلَا حُدُودٍ .. وَبِلَا مَبَادِئٍ .. وَبِلَا أَخْلَاقٍ .. وَبِلَا خَطٍّ أَحْمَرَ!!!

[أَضْحَتْ هِيَ (الفَسَادُ) فِي أَحَطِّ صُوَرِهِ وَأَشْكَالِهِ وَأَلْوَانِهِ].

فَـ(الْحُرِّيَّةُ) اليَوْمَ -عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ- تَعْنِي: الِانْسِلَاخَ مِنَ الأَخْلَاقِ وَالقِيَمِ.

(الْحُرِّيَّةُ) اليَوْمَ .. تَعْنِي: الِانْسِلَاخَ مِنَ (الإِنْسَانِيَّةِ)، وَالارْتِمَاءِ فِي زَرَائِبِ وَحَظَائِرِ (الحَيَوَانِيَّةِ) .. (الْحُرِّيَّةُ) اليَوْمَ؛ تَعْنِي: التَّفَاهَةَ وَالسَّطْحِيَّةَ.

أَصْبَحَتِ (الْحُرِّيَّةُ) اليَوْمَ؛ تَعْنِي: (انْفِلَاتًا) لَدَى مَنْ لَا يُجِيدُونَ فَهْمَهَا.

فَكُلُّ شَيْءٍ .. لَا يُمْكِنُ -أَبَدًا- أَنْ يَكُونَ مُبَاحًا!!!

وَكُلُّ شَيْءٍ .. لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ حُدُودٌ!

❁❁❁❁❁

وَ(الْحُرِّيَّةُ) عَمَلِيَّةٌ تَبَادُلِيَّةٌ؛ فَكَمَا أَنَّكَ تَسمَحُ لِـ(نَفْسِكَ) أَنْ تُمَارِسَ (الْحُرِّيَّةَ)، فَيَجِبُ أَنْ تَسْمَحَ (لِي) أَنَا -أَيْضًا- بِأَنْ أُمَارِسَ (حُرِّيَّتِي) [وَلَابُدَّ أَنْ يَنْضَبِطَ ذَلِكَ بِشَرْعِ اللهِ لَا بِالأَهْوَاءِ].

❁❁❁❁❁

فَـ(الْحُرِّيَّةُ) لَا تَعْنِي -أَبَدًا- التَّعَدِّي عَلَى حُقُوقِ الآخَرِينَ [بَلْ وَيَجِبُ احْتِرَامُ (خُصُوصِيَّةِ) الآخَرِ وَاحْتِرَامُ (إِنْسَانِيَّتِهِ) وَ(آدَمِيَّتِهِ)؛ طَالَمَا لَمْ يُخْطِئْ أَوْ يَتَجَاوَزْ]، وَمُحَاوَلَةَ التَّسَلُّطِ القَذِرِ عَلَيْهِمْ، وَفَرْضِ الرَّأْيِ عَلَيْهِمْ، .. وَالإِيذَاءَ [البَدَنِيّ وَالمَعْنَوِيّ] وَالسَّبَّ وَالقَذْفَ وَالتَّلَفُّظَ بِبَذِيءِ القَوْلِ؛ وَالإِبْدَاعِ فِي أَسْوَءِ أَنْوَاعِ (الدِّيكْتَاتُورِيَّةِ) ...

(الْحُرِّيَّةُ) الاعْتِرَافُ بِـ(الآخَرِ)، وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ لَهُ قِيمَتُهُ الإِنْسَانِيَّةُ .. وَحُقُوقُهُ المَدَنِيَّةُ [الَّتِي

كَفَلَهَا لَهُ (خَالِقُهُ) ﷻ فِي (دِينِ اللهِ) الإِسْلَامِ] [فَالتَّحَاكُمُ فِي ذَلِكَ لِلْإِسْلَامِ!].

هَلْ تُؤْمِنُ بِهَذَا المَبْدَأِ؟

"أَنْتَ حُرٌّ مَا لَمْ تَضُرّ" ...

"حُرِيَّتُكَ تَنْتَهِي حَيْثُ تَبْدَأُ حُرِيَّةُ الآخَرِينَ".

إِنْ سَلَّمْنَا جَدَلاً بِذَلِكَ -وَلاَ نُسَلِّمُ-؛ فَإِنَّنَا يُمْكِنُ أَنْ نَأْمَنَ -مِنْ خِلاَلِ هَذَا المَبْدَأِ- عَدَمَ وُقُوعِ ضَرَرِكَ عَلَى الآخَرِينَ... وَرُبَّمَا عَدَمَ وُقُوعِ ضَرَرِ الآخَرُونَ عَلَيكَ..

وَلَكِنْ .. مَاذَا عَنْ ضَرَرِكَ لِنَفْسِكَ؟

فَهَلْ يَعْنِي هَذَا المَبْدَأُ: **"أَنْتَ حُرٌّ فِي أَنْ تَضُرَّ بِنَفْسِكَ كَمَا تَشَاءُ"؟!!!**

هَلْ أَنْتَ حُرٌّ -مَثَلاً- فِي (جَسَدِكَ)؛ فَتُشَوِّهُهُ أَوْ تُمَزِّقُهُ؟ .. أَوْ أَنْ تُتَاجِرَ فِيهِ وَتَبِيعَهُ؟ .. أَوْ أَنْ تَشْرَبَ الخَمْرَ .. أَوْ أَنْ تَزْنِيَ؟ .. أَوْ تُعْطِي المَرْأَةُ جَسَدَهَا مُتْعَةً لِكُلِّ طَالِبِ مُتْعَةٍ؟

هَلْ أَنْتَ حُرٌّ فِي (مَالِكَ)؛ فَتُمَزِّقُهُ أَوْ تَحْرِقُهُ؟ أَوْ أَنْ تَحْرِمَ وَرَثَتَكَ مِنْهُ وَتُوقِفَهُ لِلْقِطَطِ وَالكِلاَبِ -كَمَا يَحْدُثُ فِي الغَرْبِ؟

هَلْ أَنْتَ حُرٌّ فِي (حَيَاتِكَ)؛ فَتُنْهِيهَا وَأَنْ تَنْتَحِرَ؟ ....

إِنَّ الإِسْلاَمَ حَرَّمَ كُلَّ أَنْوَاعِ (الظُّلْمِ) [كَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ، عَظِيمِهِ وَصَغِيرِهِ، جُلِّهِ وَدِقِّهِ]؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: «**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ (الظُّلْمَ) عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلاَ تَظَّالَمُوا**. ...». حَتَّى ظُلْمِ الإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ حَرَّمَهُ الإِسْلاَمَ .. فَكُلُّ مَا ذُكِرَ حَرَّمَهُ الإِسْلاَمَ؛ فَلَيْسَ لَكَ -مَثَلاً- أَنْ تَحْرِقَ مَالَكَ أَوْ تُمَزِّقَهُ .. أَوْ تَمْنَعَ وَرَثَتَكَ مِنْ مِيرَاثِهِمْ ... لَيْسَ لَكَ أَنْ تُشَوِّهَ جَسَدَكَ .. أَوْ أَنْ تُتَاجِرَ فِيهِ وَتَبِيعَهُ؟ .. أَوْ أَنْ تَشْرَبَ الخَمْرَ .. أَوْ أَنْ تَزْنِي!!!

وَأَسْوَأُ ذَلِكَ (الانْتِحَار)؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ**

بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا».

❁❁❁❁❁

قَدْ يَتَلَذَّذُ بَعْضُ النَّاسِ بِاسْتِعْبَادِ غَيْرِهِمْ؛ كَمَا نَسْتَمْتِعُ -نَحْنُ- بِحَبْسِ العَصَافِيرِ وَالبَلاَبِلِ فِي أَقْفَاصٍ، وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا فِي أَقْفَاصِهَا وَأَغْلاَلِهَا!!

وَلَكِنْ تَنَبَّهْ .. إِنَّنَا لاَ نُطْلِقُ هَذِهِ (العَصَافِيرَ) مَا لَمْ تُزْعِجْنَا دَوْمًا بِصَوْتِهَا وَصَفِيرِهَا وَضَجِيجِهَا. وَلَكِنْ إِنْ سَكَتَتْ وَسَكَنَتْ؛ بَقِينَا نَتَلَذَّذُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا وَهِيَ فِي أَقْفَاصِهَا وَأَغْلاَلِهَا وَقُيُودِهَا، وَلاَ نَشْعُرُ أَنَّهَا (مَسْجُونَةٌ)!!

فَـ(الحُرِّيَّةُ) لاَ تُسْتَجْدَى ..

[فَمَا نَيْلُ المَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي ... وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلاَبًا]

بَلْ رُبَّمَا تَحْتَاجُ (الحُرِّيَّةُ) أَنْ تُرْوَى بِدِمَاءٍ غَالِيَةٍ حَرَّى وَزَكِيَّةٍ، وَأَنْ تُشْتَرَى (الحُرِّيَّةُ) بِكُلِّ مُرْتَخَصٍ وَغَالٍ. ..

إِنَّ (الحُرِّيَّةَ) لاَ تُوهَبُ، أَوْ .. تُمْنَحُ، أَوْ .. تُعْطَى، ...

وَإِنَّمَا (الحُرِّيَّةُ) تُؤْخَذُ، وَرُبَّمَا .. تُنْزَعُ نَزْعًا!

❁❁❁❁❁

إِنَّ (الثَّوْرَةَ) لَيْسَتْ بِسَبَبِ وُقُوعِ الظُّلْمِ عَلَى الإِنْسَانِ؛ كَمَا يَتَوَهَّمُ الكَثِيرُونَ!!

[بَلْ يَثُورُ الإِنْسَانُ لأَنَّهُ يَشْعُرُ بِالظُّلْمِ؛ حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَظْلُومًا].

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعِيشُونَ فِي ظُلْمٍ وَلاَ يَثُورُونَ؛ لأَنَّهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بِهَذَا الظُّلْمِ الوَاقِعِ عَلَيْهِمْ. ... فَمِنْ فُنُونِ أَيِّ (دِكْتَاتُورٍ) أَنَّهُ لاَ يُشْعِرُكَ أَنَّكَ مُقَيَّدٌ مَظْلُومٌ بَلْ يُشْعِرُكَ أَنَّكَ تَعِيشُ حُرًّا طَلِيقًا؛ وَأَنْتَ تَرْسُفُ فِي قُيُودِكَ وَأَغْلاَلِكَ. فَأَيِّ (دِكْتَاتُورٍ) يُتْقِنُ مَهَارَةَ التَّحَكُّمِ فِي عُقُولِ النَّاسِ، وَكَيْفِيَّةَ تَوْجِيهِ أَفْكَارِهِمْ.

أَنْتَ لَنْ تُطَالِبَ بِحُرِّيَّتِكَ مَا لَمْ تَشْعُرُ أَنَّكَ مُقَيَّدٌ مُسْتَعْبَدٌ مَقْهُورٌ، .. حُرِّيَّتُكَ مَسْلُوبَةٌ مِنْكَ، وَمُنْتَزَعَةٌ، وَمَغْصُوبَةٌ، .. وَأَنَّكَ تَعِيشُ فِي حَالَةِ كَبْتٍ فِكْرِيٍّ، وَقَهْرٍ حِسِّيٍّ.

وَلاَ بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ كَسْرَ هَذِهِ القُيُودِ لاَ يَحْدُثُ إِلاَّ بِبَذْلِ التَّضْحِيَاتِ .. وَقَدْ تَكُونُ القُيُودُ كَثِيرَةً يَصْعُبُ مَعَهَا التَّحَرُّرُ وَالانْفِلاَتُ مِنْهَا مَرَّةً وَاحِدَةً؛ وَهُنَا يَنْبَغِي (التَّدَرُّجُ) فِي كَسْرِ القُيُودِ، فَيَبْدَأُ الإِنْسَانُ بِأَيْسَرِهَا وَأَلْيَنِهَا، ثُمَّ الأَشَدّ، فَالأَشَدّ.. فَبَعْضُ الشَّيْءِ أَخَفُّ مِنْ بَعْضٍ.

❁❁❁❁❁

وَلاَ بُدَّ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى (حُرِّيَّاتِ الآخَرِينَ) وَيُدَافِعَ عَنْهَا، كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُحَافِظَ الآخَرُونَ عَلَى حُرِّيَّتِهِ وَيُدَافِعُوا عَنْهَا ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضًا: «**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**».

❁❁❁❁❁

قَدْ يَتَصَوَّرُ (الإِنْسَانُ) أَنَّهُ (حُرٌّ) فِي أَنْ يَتخذَ مَا يَشَاءُ مِنْ قراراتٍ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ هَذَا (القَرَارُ) هُوَ (الانْتِحَار) .. أَنَّ يَتَخَلَّصَ مِنْ حَيَاتِهِ؛ لِيُبَرْهِنَ عَلَى حُرِيَّتِهِ!!! .. فَإِذَا بِهَا إِرَادَةٌ تَقْضِي عَلَى كُلِّ إِرَادَةٍ لَدَيْهِ، وَحُرِّيَّةُ فِعْلٍ تَقْضِي عَلَى كُلِّ قُدْرَةٍ عَلَى الفِعْلِ، بَلْ .. هُوَ تَنَازُلٌ -مِنْهُ- عَنْ كُلِّ اخْتِيَارٍ، بَلْ .. يَسْتَحِيلُ -عِنْدَئِذٍ- إِلَى (جَمَادٍ) لاَ قُدْرَةَ لَهُ عَلَى (الاخْتِيَارِ) بَلْ .. لاَ شَيْءَ!

وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى؛ يَتَعَبَّدُ لِلأَصْنَامِ [المَادِيَّةِ أَوِ المَعْنَوِيَّةِ] الَّتِي يَصْنَعُهَا وَيُضْفِي عَلَيْهَا مِنْ خَيَالِهِ وَأَوْهَامِهِ! .. إِنَّهُ يَتَعَبَّدُ لِهَوَاهُ وَخَيَالِهِ المَرِيضِ!!!

❁❁❁❁❁

إِنَّ التَّفْكِيرَ الطُّفُولِيَّ يَدْفَعُ الإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يَنْشُدَ (القُوَّةَ المُطْلَقَة) لِيَفْعَلَ مَا يَشَاءُ؛ فَيَسْعَى بِكُلِّ سَبِيلٍ -وَلَوْ فِي خَيَالِهِ- أَنْ يَمْتَلِكَ قُوَّةَ الجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَلَوْ فِي صُورَةِ الأَبْطَالِ الخُرَافِيِّينَ. .. إِنَّهُ يُحَاوِلُ الخُرُوجَ مِنْ بَوْتَقَةِ: أَنَّهُ "إِنْسَانٌ" مَحْدُود القُوَى وَالإِرَادَةِ.

إِنَّ (الإِنْسَانَ) لاَبُدَّ أَنْ يَعْتَرِفَ أَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ (قُوَى خَارِقَة) [إِنَّهُ لَيْسَ الإِنْسَانَ الخَارِقَ (سُوبَر مَان)، أَوِ (المَخْلُوقَاتِ الخَارِقَةَ) الخُرَافِيَّةَ]. [﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾ (الإِسْرَاء/ ٣٧)]

وَلَيْسَتْ لأَيِّ إِنْسَانٍ (إِرَادَةٌ مُطْلَقَةٌ). ...

وَلاَ تُوجَدُ (حُرِّيَّةٌ لاَ مُتَنَاهِيَة)؛ بَلْ مَظَاهِرُ الضَّعْفِ البَشَرِيِّ أَوْضَحُ الحَقَائِقِ وَأَبْيَنُهَا .. إِنَّهُ مَا خَلَقَ نَفْسَهُ .. وَلَمْ يَخْلُقْ مَا حَوْلَهُ، فَهُوَ لَيْسَ كَمَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ .. وَالعَالَمُ لَيْسَ فَقَطْ مَا يُرِيدُ!

- وَمَظَاهِرُ الضَّعْفِ البَشَرِيِّ:

بَعْضُهَا مَصْدَرُهُ الذَّاتُ نَفْسُهَا.

وَبَعْضُهَا مِنْ وُجُودِ الإِنْسَانِ فِي دَائِرَةٍ مُعَيَّنَةٍ مَحْدُودَةٍ .. ذَاتِ نَشَاطٍ مَحْدُودٍ.

وَبَعْضُهَا مِنَ العَالَمِ الخَارِجِيِّ المُحِيطِ بِهِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ.

وَبَعْضُهَا مِنَ القِيَمِ، وَالمَبَادِئِ، وَالضَّرُورَاتِ، وَالبَوَاعِثِ، ...؛ الَّتِي تَرَسَّبَتْ بِدَاخِلِهِ.

❁❁❁❁❁

فَكُلُّ (حُرِّيَّةٍ) فِي الدُّنْيَا لَهَا قُيُودٌ تُحِدُّهَا؛ مِنْ هَذِهِ القُيُودِ: قُيُودٌ تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ (الله) ﷻ، وَقُيُودٌ أَخْلاَقِيَّةٌ، وَحُقُوقُ الآخَرِينَ، وَحَقُّ الفَرْدِ نَفْسِهِ.

وَيُضْرَبُ لِذَلِكَ مَثَلاً بِالبَاخِرَةِ فِي البَحْرِ، أَوِ الطَّائِرَةِ فِي السَّمَاءِ .. فَإِنَّهَا لَا تَسِيرُ وِفْقَ هَوَى قَائِدِهَا؛ بَلْ تَلْتَزِمُ بِخَطِّ سَيْرٍ يَجِبُ أَنْ تَتَّبِعَهُ وَلَا تَحِيدَ عَنْهُ وَإِلَّا اصْطَدَمَتْ بِشَيْءٍ أَوْ ضَاعَتْ وَضَاعَ كُلُّ مَنْ فِيهَا.

❁❁❁❁❁

فَـ(وُجُودُكَ) لَيْسَ وُجُودًا عَامًّا مُطْلَقًا؛ بَلْ هُوَ (وُجُودٌ) مُرْتَبِطٌ بِزَمَانٍ مُحَدَّدٍ، وَمَكَانٍ مُحَدِّدٍ .. وُجُودٌ لَهُ ظُرُوفُهُ وَمَوَاقِفُهُ .. لَهُ ارْتِبَاطٌ، وَعَلاَقَاتٌ بِمَا حَوْلَهُ مِنْ ذَوَاتٍ وَأَشْيَاءٍ.

وَمَعَ أَنَّهُ لاَ سَبِيلَ لَدَيْهِ لِمَحْوِ وَإِلْغَاءِ ذَلِكَ؛ إِلاَّ أَنَّ لَهُ أَنْ يَخْتَارَ مَوْقِفًا تُجَاهَ ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ تَبِعَاتِ هَذَا المَوْقِفِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ. ...

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِذَلِكَ، [وَرُبَّمَا مَعَ خَجَلِهِ مِنْهُ] ..

وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَقَبَّلَ ذَلِكَ؛ بَلْ .. رُبَّمَا يَفْتَخِرُ بِهِ.

وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفُضَهُ وَيَأْبَاهُ؛ بَلْ .. يَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ.

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ مُتَشَائِمًا .. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَفَاءَلَ ...

إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْقِطَ عَلَى (الأَشْيَاءِ): (مَعْنًى) وَ(قِيمَةً)!

إِنَّهُ يُمْكِنُهُ -مَثَلاً- أَنْ يَفْرَحَ أَنَّهُ (طَوِيلٌ) أَوْ (قَصِيرٌ) .. وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَحْزَنَ!!! وَهَكَذَا أَيُّ أَمْرٍ هُوَ عَلَيْهِ وَلاَ دَخْلَ لَهُ فِيهِ؛ إِنَّهُ (أَبْيَض) أَوْ (أَسْوَد) .. إِنَّهُ (سَمِينٌ) أَوْ (نَحِيفٌ) ..

إِنَّهُ .. أَنْتَ؛ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ!

وَلاَبُدَّ مِنَ التَّعَايُشِ مَعَ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ وَمَا لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ وَمَا لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ!

❁❁❁❁❁

وَإِنَّ (المَاضِي) لاَ يُحَدِّدُ -بِالضَّرُورَةِ-: (الحَاضِرَ)، وَ(المُسْتَقْبَلَ) ..

بَلِ (المَاضِي) هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ عَلَى تَغْيِيرِهِ [إِلَى الأَفْضَلِ] حَتَّى تَصِلَ إِلَى (الغَايَةِ) الَّتِي تَهْدفُ إِلَيْهَا وَتَقْصِدُهَا؛ أَيْ: (المُسْتَقْبَل) الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَكُونَهُ. ...

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحْيِيَ (المَاضِي)؛ لَا لأَنْ تُصْبِحَ أَسِيرًا لَهُ، وَلَكِنْ لِكَيْ تَأْخُذَ مِنْهُ العِبْرَةَ وَالعِظَةَ وَتَسْتَفِيدَ مِنْ دُرُوسِهِ، وَأَنْ يَكُونَ دَافِعًا لِمَا تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ (المُسْتَقْبَلُ). ...

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ (مَيْتًا) (لاَ وُجُودَ لَهُ) مُنْفَصِلاً عَنْكَ؛ إِنْ كَانَ يَعْمَلُ عَلَى إِعَاقَتِكَ، وَانْظُرْ فِي ذَلِكَ قِصَّةَ (**قَاتِلِ المِائَةِ نَفْسٍ**)[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٧٦٦)؛ وَكَيْفَ سَعَى فِي تَغْيِيرِ مَاضِيهِ، وَأَصَرَّ عَلَى

---

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ عَلَى مُسْلِمٍ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذَا اسْتِحْبَابُ مُفَارَقَةِ التَّائِبِ المَوَاضِعَ الَّتِي أَصَابَ بِهَا الذُّنُوبَ، وَالأَخْدَانَ المُسَاعِدِينَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَمُقَاطَعَتُهُمْ مَا دَامُوا عَلَى حَالِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَبْدِلَ بِهِمْ صُحْبَةَ أَهْلِ الخَيْرِ وَالصَّلاَحِ وَالْعُلَمَاءِ وَالمُتَعَبِّدِينَ الْوَرِعِينَ وَمَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ، وَيَنْتَفِعُ بِصُحْبَتِهِمْ، وَتَتَأَكَّدُ بِذَلِكَ تَوْبَتُهُ.

ذَلِكَ، وَتَرَكَ أَرْضَهُ وَوَطَنَهُ الَّذِي تَرَبَّى فِيهِ؛ فِي سَبِيلِ تَغْيِيرِ هَذَا المَاضِي الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُغَيَّرَ!

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَثُورَ عَلَى هَذَا (المَاضِي) الَّذِي تَبْغَضُهُ، وَأَنْ تَتَنَكَّرَ لَهُ وَتَنْقَلِبَ عَلَيْهِ، فَهُنَاكَ مَنْ يَرَى (المَاضِي) عَائِقًا وَعَقَبَةً فِي سَبِيلِ تَقَدُّمِهِ.

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْتَخِرَ بِهِ، وَتُخْلِصَ لَهُ، وَتَتَّحِدَ مَعَهُ، وَتَنْدَمِجَ فِيهِ. ...

وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ نَشَأَ فِي بِيئَةٍ وَضِيعَةٍ [بَلْ رُبَّمَا أَيْضًا: رَقِيعَة] وَرَفَعَ نَفْسَهُ إِلَى مَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ [انْظُرْ إِلَى الصَّحَابَةِ -كَمِثَالٍ- كَيْفَ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ؛ وَكَيْفَ صَارُوا سَادَةً لِلْأُمَمِ فِي الإِسْلَامِ] .. وَالعَكْسُ أَيْضًا كَثِيرٌ!!!

نَعَمْ! تَسْتَطِيعُ أَنْ تَشْعُرَ بِحُرِيَّتِكَ فِي قَبُولِ هَذَا المَاضِي.. أَوْ: الانْقِلَابِ عَلَيْهِ، وَالتَّحَوُّلِ عَنْهُ.

❁❁❁❁❁

❁ فَـ(الحُرِيَّةُ): القُدْرَةُ عَلَى التَّعْدِيلِ .. وَالتَّحْوِيلِ .. وَالتَّغْيِيرِ.

❁❁❁❁❁

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَفِعَ بِمَا عِنْدَكَ مِنْ قُدُرَاتٍ لِتَعْوِيضِ مَا تَفْتَقِدُهُ مِنْهَا .. إِنَّكَ يُمْكِنُ أَنْ لَا تَسْتَسْلِمَ لِلْعَجْزِ بَلْ تَعْلُوَ فَوْقَهُ ...

نَنْتَقِي نَمُوذَجًا فِي (العَصْرِ الحَدِيثِ) لِفَتَاةٍ قَهَرَتِ العَجْزَ وَالمَرَض؛ إِنَّهَا: تِلْكَ المَرْأَةُ العَمْيَاءُ الصَّمَّاءُ البَكْمَاءُ (**هِيلِين كِيلَر**) (Helen Adams Keller) (٢٧ يُونْيُو ١٨٨٠ - ١ يُونْيُو ١٩٦٨)، وُلِدَتْ فِي وِلَايَةِ (أَلَابَامَا) الأَمْرِيكِيَّةِ، وَتُوُفِّيَتْ عَنْ ثَمَانِيَةٍ وَثَمَانِينَ عَامًا. قَالَ عَنْهَا الأَدِيبُ (مَارْك تُوين) (١٨٣٥-١٩١٠م):

"إِنَّ أَعْظَمَ شَخْصِيَّتَيْنِ فِى القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ؛ هُمَا: (نَابلْيُون بُونَابَرْت)، وَ(هِيلِين كِيلَر)".

وَهِيَ أَدِيبَةٌ وَمُحَاضِرَةٌ وَنَاشِطَةٌ أَمْرِيكِيَّةٌ، وَلَمْ تَسْتَسْلِمْ لِتِلْكَ الإِعَاقَاتِ الَّتِي حَلَّتْ بِهَا؛ وَاَصْبَحَتْ عَالِمَةً، وَهِيَ تُعْتَبَرُ مُعْجِزَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ الدُّنْيَا وَإِحْدَى رُمُوزِ الإِرَادَةِ الإِنْسَانِيَّةِ ؛

حَيْثُ إِنَّهَا كَانَتْ فَاقِدَةَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ، [وَلَمْ تُولَدْ (هِيلِين كِيلَر) عَمْيَاءَ وَلاَ صَمَّاءَ؛ لَكِنَّهَا أُصِيبَتْ بِذَلِكَ لِمَرَضِهَا (الْتِهَاب فِي الدِّمَاغِ) بَعْدَ بُلُوغِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَظَلَّتْ صَمَّاءَ وَبَكْمَاءَ وَعَمْيَاءَ؛ إِلَى أَنْ بَلَغَتِ السَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِهَا]، وَبَعْدَ اِنْقِضَاءِ أَرْبَعَة عَشَرَ رَبِيعًا [فِي عُمُرِ ١٤ سَنَة] مُظْلِمًا عَلَيْهَا فَاجَأَتْ أَصْدِقَاءَهَا فِي مَدْرَسَةِ (كَامْبِرِدْج) لِلْبَنَاتِ بِقَوْلِهَا بِكُلِّ ثِقَةٍ: "سَأَذْهَبُ إِلَى جَامِعَةِ (هَارْفَارْد) ذَاتَ يَوْمٍ"، وَقَدْ كَانَ لَهَا مَا أَرَادَتْ. فَتَعَلَّمَتْ، وَاسْتَطَاعَتْ أَنْ تَتَغَلَّبَ عَلَى إِعَاقَتِهَا، وَتَحَقَّقَتْ أَحْلَامُهَا وَاحِدَةً تِلْوَ الأُخْرَى، وَانْتَقَلَتْ مِنْ مَعْهَدِ (بُوسْكِن) إِلَى مَدْرَسَةِ (الصُّمّ وَالبُكْم) بِـ(نِيُويُورْك) إِلَى مَدْرَسَةِ (كَامْبِرِدْج) لِلْبَنَاتِ، إِلَى جَامِعَةِ (كَامْبِرِدْج) فِي (هَارْفَارْد)، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خَرِيفِ عَامِ (١٩٠٠م)، ثُمَّ تَخَرَّجَتْ فِي الجَامِعَةِ (١٩٠٤م) بِدَرَجَةِ (مُمْتَاز).

وَأَلَّفَتْ كِتَابَهَا الأَوَّلَ (قِصَّة حَيَاتِي) الَّتِي كَانَتْ دَرْسًا فِي (الإِرَادَةِ) لِلْإِنْسَانِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَتُرْجِمَ إِلَى خَمْسِينَ لُغَةٍ مِنْهَا العَرَبِيَّة، ثُمَّ أَلَّفَتْ كِتَابَهَا الثَّانِي (عَالَمِي الخَاصّ) عَامَ (١٩٠٨م)، وَأَعْقَبَتْهُمَا بِكِتَابَيْهَا (السَّلَام عِنْدَ المَسَاءِ) (١٩٣٨م)، وَ(لِيَكُنْ لَنَا إِيمَانٌ) (١٩٤١م).

وَتَمَّ تَلْقِيبُهَا بِـ(مُعْجِزَةِ الإِنْسَانِيَّةِ) لِمَا قَاوَمَتْهُ مِنْ إِعَاقَتِهَا حَيْثُ أَنَّ مُقَاوَمَةَ تِلْكَ الظُّرُوفِ كَانَتْ بِمَثَابَةِ مُعْجِزَةٍ.

وَاسْتَمَرَّتْ تَقُومُ بِرِسَالَتِهَا حَتَّى وَافَتْهَا المَنِيَّةُ فِي الأَوَّلِ مِنْ يُونْيُو (١٩٦٨م).

فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ المَرْأَةِ بِظُرُوفِهَا الصِّحِّيَّةِ الصَّعْبَةِ؛ لَقَدْ صَمَّمَتْ عَلَى أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ضِيقِ ظُرُوفِهَا إِلَى اسْتِخْدَامِ مَا يَرَاهُ الجَمِيعُ مُبَرِّرًا لِقُعُودِهَا؛ فَجَعَلَتْهُ سَبَبًا لِانْطِلَاقِهَا، [تَقُولُ عَنْ نَفْسِهَا: "دَفَعَنِي إِلَى ذَلِكَ شَوْقِي إِلَى السِّبَاقِ مَعَ الفَتَيَاتِ المُبْصِرَاتِ وَالسَّامِعَاتِ"] .. قَدْ شَقَّتْ طَرِيقَ العِلْمِ وَقَهَرَتِ العَجْزَ؛ فَأَنْتَ يَا مَنْ وَهَبَكَ اللهُ الصِّحَّةَ وَالعَافِيَةَ وَالمَقْدِرَةَ، أَحَقُّ بِذَلِكَ ..

وَهُنَاكَ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ عَلَى ذَلِكَ؛ فَهَذَا (**تُيودُور رُوزْفِلْت**) رَئِيسُ (الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَة) الأَسْبَقَ

اشْتُهِرَ بِأَنَّهُ مِنْ أَشْهَرِ الرُّمَاةِ وَأَشْهَرِ المُغَامِرِينَ فِي عَالَمِ الصَّيْدِ فِي عَصْرِهِ،؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ، كَذَلِكَ (**أَبُو العَلاَءِ المَعَرِّي**) أَصْبَحَ مِنْ أَبْرَعِ الأُدَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى، وَ(**ابْنُ خُلْدُونَ**) فَقَدَ أُسْرَتَهُ؛ فَمَا أَقْعَدَهُ هَذَا أَنْ يَكْتُبَ أَعْظَمَ مُؤَلَّفٍ فِي عِلْمِ الاِجْتِمَاعِ.

وَتَذَكَّرْ -أَيُّهَا المُسْلِمُ- أَنَّكَ مِنْ (**خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**)، وَأَنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِـ(الهِمَّةِ العَالِيَةِ) وَالعَزْمِ الشَّدِيدِ.

❁❁❁❁❁

وَلَا يُوجَدُ (**اخْتِيَارٌ عَقْلِيٌّ**) يَتِمُّ بِدُونِ أَسَاسٍ أَوْ دعَامَةٍ يَسْتَنِدُ عَلَيْهَا، فَلاَ يُوجَدُ اخْتِيَارٌ يُمْلِي عَلَى نَفْسِهِ بَوَاعِثُهُ.

إِنَّ (الإِنْسَانَ) هُوَ الَّذِي يَخْلَعُ عَلَى أَسْبَابِهِ وَمُبَرِّرَاتِهِ وَدَوَافِعِهِ وَبَوَاعِثِهِ (قِيمَةً)، هَذِهِ (القِيمَةُ) قَدْ تَكُونُ حَقِيقِيَّةً إِنْ كَانَتْ مِنْ قِبَلِ (**اللهِ**) .. وَتَكُونُ غَيْرَ حَقِيقِيَّةٍ إِنْ كَانَتْ مِنْ هَوَى (الإِنْسَانِ).

إِنَّ المِعْيَارَ الأَوْحَدَ لِلْحَقِيقَةِ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ (**اللهُ**)؛ لاَ غَيْرَ.

فَـ(الإِنْسَانُ) لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِلْقِيَمِ وَالمَبَادِئِ وَالمُثُلِ وَالمَعَايِيرِ ... لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِعْيَارًا لِلْحَقِّ وَالعَدْلِ وَالخَيْرِ وَالجَمَالِ[1]؛ كَمَا يَقُولُ (اللِّيبْرَالِيُّونَ) [وَكَذَا يَتَّفِقُ مَعَهُمُ

---

(١) كَانَ كُلُّ الفِكْرِ القَدِيمِ يَقُومُ تَقْرِيبًا عَلَى أَنَّ المَظَاهِرَ وَالخَصَائِصَ الأَسَاسِيَّةَ لِبِيئَتِهِمْ الاجْتِمَاعِيَّةِ تُحَدِّدُهَا (الطَّبِيعَةُ) أَوْ (عَامِلٌ غَيْرُ بَشَرِيٍّ).

إِنَّهُمْ يَتَقَبَّلُونَ فِي العَادَةِ أَشْكَالَ التَّسَلْسُلِ الهَرَمِيِّ فِي: السُّلْطَةِ، وَالمَنْزِلَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالثَّرْوَةِ ... دُونَ أَيِّ تَرَدُّدٍ؛ كَمَا عِنْدَ البَابِلِيِّينَ واليُونَانِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ.

حَتَّى بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ تَشَكَّلَ فِكْرُهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ (شَعْبُ اللهِ المُخْتَارُ)، فَالعَدَالَةُ تَكُونُ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَهِيَ لَهُمْ وَحْدَهُمْ، بَيْنَمَا عَلاَقَاتِهِمْ بِالآخَرِينَ تَتَّسِمُ بِالخِدَاعِ وَانْعِدَامِ الثِّقَةِ، بَلْ وَالصِّرَاعَاتِ العَنِيفَةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَى اسْتِئْصَالِهِمْ لِقَبَائِلَ كَامِلَةٍ مِنْ أَعْدَائِهِمْ.

(العَلْمَانِيُّونَ) (الدُّنْيَوِيُّونَ)] [حَيْثُ تَخْتَلِفُ هَذِهِ القِيَمُ مِنْ شَخْصٍ لآخَرَ، وَمِنْ زَمَانٍ لِزَمَانٍ، وَمِنْ مَكَانٍ لِمَكَانٍ] بِذَلِكَ [بِـ(أَنْمُوذَجِ الفَرْدِ المُسْتَقِلِّ بِذَاتِهِ)]؛ فَـ(الإِنْسَانُ) -عِنْدَهُمْ- (ذَاتِيُّ الاسْتِقْلاَلِيَّةِ)، فَالحُكْمُ وَالاخْتِيَارُ فَرْدِيٌّ، فَالشَّخْصُ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ وَيَخْتَارُ؛ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ المُسَاوَاةَ الأَخْلاَقِيَّةَ بَيْنَ جَمِيعِ الأَشْخَاصِ، مِنْ حَيْثُ كَوْنُ كُلٌّ مِنْهُمْ (كَائِنًا مُسْتَقِلاً بِذَاتِهِ)؛ لَهُ (الحُرِّيَّةُ الكَامِلَةُ) فِي أَنْ يَخْتَارَ قِيمَهُ، وَلاَ يَجُوزُ لِلدَّوْلَةِ -فِي هَذِهِ الحَالَةِ- أَنْ تَخْضَعَ لِنُفُوذِ أَيِّ عَقِيدَةٍ مَهْمَا كَانَتْ، وَلاَ يَجُوزُ لِفَرْدٍ أَنْ يُخْضِعَ غَيْرَهُ مِنَ الأَفْرَادِ لِمَا يَعْتَقِدُ!

وَهَذَا الكَلاَمُ لاَ يَصْلُحُ؛ لَا .. لأَنَّهُ يَتَصَادَمُ مَعَ دِينِنَا فَقَطْ، بَلْ .. لاَ يَصْلُحُ لأَنَّهُ لاَ يَصِحُّ أَنْ يَجْعَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ لِنَفْسِهِ القِيَمَ وَالمَعَايِيرَ؛ وَإِلَّا لَكَانَ (الإِنْسَانُ) هُوَ السَّيِّدُ المُطَاعُ .. وَلَتَصَادَمَتْ تِلْكَ القِيَمُ وَالمُثُلُ مَعَ تَصَادُمِ (الأَسْيَادِ) [بِعَدَدِ البَشَرِ].

وَكَذَا (البَرَجْمَاتِيَّةُ pragmatism): الذَّرَائِعِيَّةُ النَّفْعِيَّةُ، تَجْعَلُ مِنَ (المَنْفَعَةِ) مِعْيَارًا لِلْحَقِّ وَالخَيْرِ وَالجَمَالِ، فَالفِكْرَةُ لَيْسَتْ صَحِيحَةً أَوْ بَاطِلَةً فِي ذَاتِهَا؛ وَلَكِنْ بِحَسَبِ مَا يُمْكِنُ أَنْ تُحَقِّقَهُ لِلإِنْسَانِ مِنْ نَفْعٍ فِي حَيَاتِهِ العَمَلِيَّةِ.

وَهَذَا كُلُّهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ عِنْدَ العُقَلاَءِ!

فَحَتَّى مَنْ يَقُولُ بِعَدَمِ الاخْتِلاَفِ بَيْنَ البَشَرِ وَاشْتِرَاكِهِمْ جَمِيعًا فِي الصِّفَاتِ البَشَرِيَّةِ؛ وَمِنْهَا القُدْرَةُ عَلَى (التَّفْكِيرِ العَقْلاَنِيِّ)، إِلاَّ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَنَّ هَذَا (التَّفْكِيرَ) يَحْتَاجُ إِلَى (التَّعْلِيمِ)، وَلَكِنَّ نَوْعِيَّةَ وَدَرَجَةَ التَّعْلِيمِ تَتَفَاوَتُ بَيْنَ البَشَرِ؛ وَلِذَلِكَ تَتَفَاوَتُ مَعَايِيرُ الأَخْلاَقِ وَالفَضِيلَةِ وَالعَدَالَةِ، وَلِذَا تَخْتَلِفُ القَوَانِينُ الَّتِي يَسُنُّهَا البَشَرُ لأَنَّهَا نَوَاتِجُ لِلآرَاءِ وَالأَعْرَافِ السَّائِدَةِ فِي كُلِّ بِيئَةٍ. وَلِذَا عِنْدَمَا تَجْتَمِعُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ البَشَرِ لاَ تُوجَدُ بَيْنَهُمْ أَيُّ رَوَابِطٍ مُسَبَّقَةٍ؛ فَسَيَكُونُ لِكُلٍّ مِنْهُمْ مَعَايِيرُهُ.

مَعَ الوَضْعِ فِي الاعْتِبَارِ وُجُودُ اخْتِلاَفَاتٍ فِي القَابِلِيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ وَالمَوْهِبَةِ مِمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ اخْتِلاَفَاتُ التَّفْكِيرِ وَالطَّبَقَةِ وَالثَّرْوَةِ.

إِنَّ وَرَاءَ أَيِّ فِعْلٍ (مَعْقُول) -أَيْ: صَدَرَ بِرَوِيَّةٍ وَتَعَقُّلٍ (لاَ الفِعْل التِّلْقَائِيّ الغَرِيزِيّ)- وَرَاءَهُ: بَوَاعِث .. وَمُبَرِّرَات .. وَمُسَوِّغَات .. وَأَسْبَاب .. وَدَوَافِع .. وَأَهْوَاء ...

وَتَتَدَخَّلُ فِيهِ: العَوَاطِفُ .. وَالمِيُولُ .. وَالنَّظَرُ وَالتَّصَوُّرَاتُ، وَالإِدْرَاكَاتُ ...

كَمَا تَتَدَخَّلُ فِيهِ أَيْضًا: الشُّرُوطُ .. وَالظُّرُوفُ .. وَالقُوَى الخَارِجِيَّةِ .. وَمَا هُوَ مُمْكِنٌ ...

وَهَذَا كُلُّهُ فِي ذَاتِهِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ (الضَّعْفِ الإِنْسَانِيِّ) [وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ إِلاَّ كَذَلِكَ].

❁❁❁❁❁

وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ؛ فَأَنْتَ -عِنْدَكَ- "القُدْرَةُ الذَّاتِيَّةُ الحَقِيقِيَّةُ" لِـ: تَكْوِينِ نَفْسِكَ، وَاخْتِيَارِ أَسْلُوبِكَ فِي الحَيَاةِ. ...

أَنْ تَكُونَ (الإِنْسَانَ) .. (الشَّخْصَ) الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَكُونَهُ. .. إِنَّهُ (أَنْتَ) الَّذِي يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ أَنْ يَتَأَخَّرَ .. أَنْ يَثُورَ أَوْ يَتَقَوْقَعَ ...

أَنْ تَعِيشَ حَيَاةَ "الإِنْسَانِ" أَوْ أَنْ تَعِيشَ حَيَاةَ "الأَشْيَاء" [أَنْ تَكُونَ مُجَرَّدَ "شَيْءٍ"؛ يَفْعَلُ بِكَ غَيْرُكَ مَا يَشَاءَ].

إِنَّكَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ (مَطْرَقَةً) تَضْرِبُ، أَوْ أَنْ تَكُونَ (سِنْدِيَانًا) يَتَلَقَّى الضَّرَبَاتِ، أَوْ .. أَنْ تَكُونَ (مُسَالِمًا) بَعِيدًا عَنْ هَذَا وَذَاكَ!!

إِنَّكَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ (سَلْبِيًّا) أَوْ أَنْ تَكُونَ (إِيجَابِيًّا) ... يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ شَخْصًا (اجْتِمَاعِيًّا)، أَوْ أَنْ تَكُونَ (انْطِوَائِيًّا) ... تَتَفَاعَلُ مَعَ النَّاسِ وَالأَحْدَاثِ، أَوْ .. لاَ تَتَفَاعَلُ.

أَنْتَ حُرٌّ .. فِي عَوَاطِفِكَ وَأَحَاسِيسِكَ وَانْفِعَالاَتِكَ ..

أَنْتَ حُرٌّ .. فِي أَهْوَائِكَ وَرَغَبَاتِكَ.

حُبُّكَ وَخَوْفُكَ وَرَجَاؤُكَ .. يَصْدُرُ عَنْكَ وَتُحَاسَبُ عَلَيْهِ (إِنْ كَانَ بِإِرَادَتِكَ) .. (إِرَادَتُكَ الحُرَّةُ)، انْظُرْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ: «**اللَّهُمَّ! هَذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلِك، فَاغْفِرْ لِي مَا لاَ أَمْلِك**».

وَأَمَّا الخَوْفُ (الغَرِيزِيِّ) -مَثَلاً- فَلاَ يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ؛ كَالخَوْفِ (الطَّبْعِيِّ) مِنْ حَيَوانٍ وَحْشِيٍّ كَاسِرٍ كَالأَسَدِ وَالحَيَّةِ ....، كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۞ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۞ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ۞ قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى**﴾ (طه/ ٦٥-٦٨).

۞۞۞۞۞

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْخُذَ ثَوَابًا لِعَمَلٍ لَمْ تَعْمَلْهُ .. أَوْ أَنْ تَتَحَمَّلَ وِزْرًا لَمْ تَعْمَلْهُ ... لأَنَّكَ فَرِحْتَ بِهَذَا العَمَلِ أَوْ ذَاكَ، أَوْ .. كَرِهْتَهُ.

۞۞۞۞۞

(**الاخْتِيَارُ**) هُوَ "إِرَادَةٌ تَقَدَّمَتْهَا رُؤْيَةٌ (رَوِيَّةٌ) مَعَ تَمْيِيزٍ."

وَ(**الفِعْل**) هُوَ "مَا يَصْدُرُ عَنِ الإِرَادَةِ حَقِيقَةً".

وَ(**الفَاعِلُ**) هُوَ "مَنْ يَصْدُرُ مِنْهُ الفِعْلُ مَعَ الإِرَادَةِ لِلْفِعْلِ عَلَى سَبِيلِ الاخْتِيَارِ، وَمَعَ العِلْمِ بِالْمُرَادِ".

فَأَنْتَ حُرٌّ فِي أَنْ تَخْتَارَ بَيْنَ (الاحْتِمَالاَتِ الْمُخْتَلِفَةِ)، وَحَتَّى إِذَا عَمِدْتَ إِلَى الكَفِّ عَنْ (الاخْتِيَارِ)؛ فَهَذَا فِي ذَاتِهِ ضَرْبٌ وَنَوْعٌ مِنَ (الاخْتِيَارِ).

فَـ(الإِنْسَانُ) مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ (الاخْتِيَارَاتِ) الَّتِي اخْتَارَهَا بِـ(إِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ) دُونَ قَسْرٍ أَوْ إِكْرَاهٍ. وَسَيُحَاسَبُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَيْهَا.

إِنَّكَ لاَ تُحَاسَبُ إِلاَّ عَلَى (الاخْتِيَارِ) بَيْنَ (الْمُمْكِنَات) (الْمُسْتَطَاعَةِ) .. وَمَا لَيْسَ بِمُمْكِنٍ وَلاَ مُسْتَطَاعٍ؛ فَلاَ تُحَاسَبُ عَلَيْهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ**

﴿الكَافِرِينَ﴾ (البَقَرَة/٢٨٦).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ (الطَّلاَق/٧).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التَّغَابُن/١٦).

❁❁❁❁❁

فَالسُّؤَالُ هُوَ:

هَلَ هَذَا (الشَّيْءُ) (مَوْجُودٌ)؟ ..

وَإِنْ كَانَ (مَوْجُودًا)؛ هَلْ هَذَا (المَوْجُودُ) (مُمْكِنٌ لَكَ)؟ ..

وَإِنْ كَانَ (غَيْرَ مَوْجُودٍ)؛ هَلْ يُمْكِنُكَ إِيجَادُهُ؟

وَإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْتَطِيعُ إِيجَادَهُ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَعِينَ بِمَنْ يَسْتَطِيعُ؟

وَهَلْ هُوَ (غَيْرُ مُمْكِنٍ) الآنَ، أَمْ هُوَ (مُسْتَحِيلٌ) لاَ يُمْكِنُ أَبَدًا؟

[وَلاَبُدَّ مِنَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ: الصَّعْبِ، وَالمُسْتَحِيلِ]

وَهَلْ هُوَ (غَيْرُ مُمْكِنٍ) لِي (أَنَا)، أَمْ (غَيْرُ مُمْكِنٍ) لِـ(غَيْرِي) أَيْضًا؟

فَالسُّؤَالُ: مَا الَّذِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَهُ بِنَفْسِي أَوْ يُمْكِنُ أَنْ يُسَاعِدَنِي غَيْرِي فِي فِعْلِهِ؟

❁❁❁❁❁

وَلَكِنْ .. مَا السَّبِيلُ إِلى أَنْ تُحْسِنَ "الاخْتِيَارِ"؟

إِنَّ (الإِنْسَانَ) كَثِيرًا مَا يَشْعُرُ بِـ(القَلَقِ)[1]؛ قَبْلَ.. وَأَثْنَاءِ.. وَبَعْدَ .. (الاخْتِيَارِ) .. إِنَّهُ كَثِيرًا

---

(١) (القَلَقُ) حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ وَفِسْيُولُوجِيَّةٌ تَتَرَكَّبُ مِنْ تَتَضَافَرِ عَنَاصِرَ إِدْرَاكِيَّةٍ، وَجَسَدِيَّةٍ، وَسُلُوكِيَّةٍ؛ يَنْشَأُ عَنْهُ شُعُورٌ غَيْرُ سَارٍ يَرْتَبِطُ عَادَةً بِعَدَمِ الارْتِيَاحِ، وَالخَوْفِ، أَوِ التَّرَدُّدِ.
وَ(القَلَقُ) هُوَ حَالَةٌ مِزَاجِيَّةٌ عَامَّةٌ تَحْدُثُ -مِنْ دُونِ التَّعَرُّفِ عَلَيْهَا- آثَارٌ تُحَفِّزُهَا. عَلَى هَذَا النَّحْوِ. يَخْتَلِفُ (القَلَقُ) عَنِ (الخَوْفِ)؛ الَّذِي يَحْدُثُ فِي وُجُودِ تَهْدِيدٍ مَلْحُوظٍ. وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ؛ يَتَّصِلُ

مَا يَسْأَلُ نَفْسَهُ أَوْ يَسْأَلُ غَيْرَهُ: **هَلْ أَحْسَنْتُ (الاخْتِيَارَ) أَمْ أَسَأْتُ؟**

إِنَّ (الإِنْسَانَ) قَدْ يَشْعُرُ -أَحْيَانًا- قَبْلَ الإِقْدَامِ عَلَى (الاخْتِيَارِ) أَنَّهُ أَمَامَ هُوَّةٍ سَحِيقَةٍ أَوْ لَيْلٍ شَدِيدِ الظُّلْمَةِ لَا بَارِقَةَ فِيهِ. [إِنَّ (القَلَقَ) يُلْهِمُكَ الخُرُوجَ مِنْ طَرِيقِ الخَطَرِ، فَـ(القَلَقُ) هُوَ

(الخَوْفُ) بِسُلُوكِيَّاتٍ مُحَدَّدَةٍ مِنَ الهَرَبِ وَالتَّجَنُّبِ، فِي حِينِ أَنَّ (القَلَقُ) هُوَ نَتِيجَةٌ لِتَهْدِيدَاتٍ لَا يُمْكِنُ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهَا أَوْ لَا يُمْكِنُ تَجَنُّبُهَا.

وَفِي رَأْيٍ آخَرَ أَنَّ (القَلَقَ) هُوَ "حَالَةٌ مِزَاجِيَّةٌ مُوَجَّهَةٌ نَحْوَ المُسْتَقْبَلِ؛ وَفِيهِ يَكُونُ الشَّخْصُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِمُحَاوَلَةِ التَّعَامُلِ مَعَ الأَحْدَاثِ السَّلْبِيَّةِ القَادِمَةِ". مِمَّا يُوحِي بِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الأَخْطَارِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ مُقَابِلَ الأَخْطَارِ الحَالِيَّةِ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ (القَلَقِ) وَ(الخَوْفِ).

وَيُعْتَبَرُ (القَلَقُ) رَدُّ فِعْلٍ طَبِيعِيًّا لِلضَّغْطِ. وَهُوَ قَدْ يُسَاعِدُ أَيَّ شَخْصٍ عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ الأَوْضَاعِ الصَّعْبَةِ؛ بِدَفْعِ الشَّخْصِ لِمُوَاجَهَةِ هَذَا الأَمْرِ.

وَعِنْدَمَا يُصْبِحُ (القَلَقُ) مُفْرِطًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَنْدَرِجُ تَحْتَ تَصْنِيفِ: اِضْطِرَابَاتِ القَلَقِ.

وَفِي عِلْمِ النَّفْسِ الإِيجَابِيِّ؛ يُوصَفُ (القَلَقُ) بِأَنَّهُ رَدٌّ عَلَى التَّحَدِّي الصَّعْبِ لِمَوْضُوعٍ لَدَيْهِ مَهَارَاتُ تَأَقْلُمٍ ضَعِيفَةٍ.

وَهُنَاكَ(قَلَقُ) يُشَابِهُ فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ مَا نَتَحَدَّثُ عَنْهُ؛ وَهُوَ: (قَلَقُ الامْتِحَانِ)؛ وَهُو: عَدَمُ الارْتِيَاحِ وَالتَّوَجُّسُ، أَوْ الانْفِعَالُ الَّذِي يَشْعُرُ بِهِ الطُّلَّابُ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ خَوْفٌ مِنَ الفَشَلِ فِي الامْتِحَانِ. وَقَدْ يَتَعَرَّض هَؤُلَاءَ الطُّلَّابُ لأَيٍّ مِنَ الأُمُورِ التَّالِيَةِ: الرَّبْطُ بَيْنَ التَّقْدِيرِ الدِّرَاسِيِّ مَعَ تَقْدِيرِ الذَّاتِ، وَالخَوْفُ مِنَ الحَرَجِ مِنَ المُعَلِّمِينَ، وَالخَوْفُ مِنَ العُزْلَةِ مِنَ الأَهْلِ أَوِ الأَصْدِقَاءِ، وَضُغُوطُ الوَقْتِ، وَالشُّعُورُ بِفُقْدَانِ السَّيْطَرَةِ. التَّعَرُّقُ وَالدَّوَارُ، وَالصُّدَاعُ، وَسُرْعَةُ خَفَقَانِ القَلْبِ، وَالغَثَيَانِ، وَالتَّمَلْمُلُ، وَالنَّقْرُ عَلَى المَكَاتِبِ.

هُنَاكَ مُسْتَوَى أَمْثَلُ لِلْقَلَقِ ضَرُورِيٌّ لأَفْضَلِ إِنْجَازٍ لِلْمَهَامِ؛ مِثْلِ امْتِحَانٍ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَتَجَاوَزُ (القَلَقُ) هَذَا المُسْتَوَى الأَمْثَلَ؛ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى التَّرَاجُعِ فِي الأَدَاءِ.

وَيُوجَدُ جِدَالٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ (قَلَقُ الإِمْتِحَانِ) هُوَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ اضْطِرَابُ قَلَقٍ فَرِيدٍ مِنْ نَوْعِهِ أَمْ هُوَ نَوْعٌ مُعَيَّنٌ مِنَ الخَوْفِ الاجْتِمَاعِيِّ.

فِي حِينِ أَنَّ مُصْطَلَحَ "قَلَقِ الامْتِحَانِ" يُشِيرُ تَحْدِيدًا إِلَى الطُّلَّابِ. وَيُصِيبُ العَدِيدَ مِنَ البَالِغِينَ نَفْسُ (القَلَقِ) فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَيَاتِهِمْ الوَظِيفِيَّةِ أَوِ المِهَنِيَّةِ؛ إِنَّهُ الخَوْفُ مِنَ الفَشَلِ. [انْظُرْ: ويكبيديا]

إِحْسَاسٌ مُسْتَقْبَلِيٌّ بِالأَلَمِ، وَمُعْظَمُ (القَلَقِ) يَنْبُعُ مِنْ خِدَاعِكَ لِنَفْسِكَ؛ فَأَكْثَرُ مَا تَخَافُهُ هُوَ مَا لَمْ تَخْتَبِرْهُ وَلَمْ تَعْرِفْهُ] فَـ(تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ)، وَافْعَلْ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ فِعْلُهُ.

❁❁❁❁❁❁

إِنَّ مَنْ يَنْخَلِعَ مِنْ عِبَادَةِ "اللهِ" يَصِيرُ عَبْدًا لأَهْوَائِهِ وَشَهَوَاتِهِ، بَلْ رُبَّمَا صَارَ عَبْدًا لِكُلِّ حَقِيرٍ وَدَنِيءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ** [وَهُوَ ثَوْبُ خِزٍّ أَوْ صُوفٍ مُعَلَّمٍ]، [وَزَادَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: (**القَطِيفَةِ**): وَهُوَ كِسَاءٌ لَهُ خُمْلٌ]؛ **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

❁❁❁❁❁❁

نَعَمْ! .. أَنْتَ حُرٌّ فِي أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ (حُرِيَّتِكَ) لِمَنْ تَشَاءُ. ... فَتُصْبِحَ (عَبْدًا) مَسْلُوبَ الْحُرِّيَّةِ وَالإِرَادَةِ!!

فَهُنَاكَ مَنْ يَتَخَلَّى -بِالفِعْلِ- عَنْ حُرِّيَّتِهِ؛ مِثْلُ هَذَا الَّذِي يَتْرُكُ أَمْرَهُ بِيَدِ غَيْرِهِ يُوَجِّهُهُ وَيُسَيِّرُهُ كَيْفَ يَشَاءُ!!

وَكَتِلْكَ الشُّعُوبِ الَّتِي تَرْضَى أَنْ تُسْتَعْبَدَ، وَتَخْضَعَ وَتَخْنَعَ لِذَلِكَ؛ مِثْلُ (شَعْبُ فِرْعَوْنَ) كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ (الزُّخْرُف/ ٥٤)؛ أَيْ: اسْتَخَفَّ عُقُولَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الضَّلاَلَةِ وَالاعْتِرَافِ لَهُ بِالإِلَهِيَّةِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى التَّصْدِيقِ بِمَا قَالَهُ بِقِلَّةِ عُقُولِهِمْ وَسَخَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَعَشَتْ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ وَالنُّورِ؛ فَفِسْقُهُمْ هُوَ عِلَّةُ طَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ قَوْمًا صَدَّقُوهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾؛ مِنْ أَجْهَلِ خَلْقِ اللهِ وَأَضَلِّهِمْ، وَلاَ يَمْلِكُ الطَّاغِيَةُ أَنْ يَفْعَلَ بِالْجَمَاهِيرِ هَذِهِ الفِعْلَةَ إِلاَّ وَهُمْ فَاسِقُونَ لاَ يَسْتَقِيمُونَ عَلَى طَرِيقٍ، وَلاَ يُمَسِّكُونَ بِحَبْلِ اللهِ، وَلاَ يَزِنُونَ بِمِيزَانِ الإِيمَانِ. فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ؛ فَيَصْعُبُ خِدَاعُهُمْ وَاسْتِخْفَافُهُمْ وَاللَّعِبُ بِهِمْ كَالرِّيشَةِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.

وَعَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ (الحُرِيَّةَ المُطْلَقَةَ) لاَ وُجُودَ لَهَا.

فَـ(الاخْتِيَارُ) لَكَ! ...

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِـ(مَوْلاَكَ)، أَوْ .. أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِـ(هَوَاكَ)!

وَلاَ إِكْرَاهَ فِي عِبَادَةِ (اللهِ) وَ ..﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [طَالَمَا لَمْ تَدْخُلْ فِي الإِسْلاَمِ، وَتَجْعَلْهُ لُعْبَةً؛ فَتَرْتَدُّ عَنْهُ، فَيَرْتَدُّ بِرِدَّتِكَ آخَرُونَ مِنْ ضِعَافِ الإِيمَانِ]؛ فَـ(الإِكْرَاهُ) لاَ يَنْتُجُ عَنْهُ إِيمَانٌ؛ وَلَكِنْ نِفَاق، وَالإِسْلاَمُ لاَ يَرْضَى بالنِّفَاقِ.

وَ(عَدَمُ الإِكْرَاهِ) هُوَ احْتِرَامُ إِرَادَةِ الإِنْسَانِ وَفِكْرَهُ وَمَشَاعِرَهُ.

وَلَكِنْ لاَ تَعْنِي (الحُرِّيَّةُ) الخُرُوجَ عَلَى (شَرْعِ اللهِ)؛ بَلْ .. (شَرْعُ اللهِ) هُوَ الَّذِي تَشْعُرُ بِحُرِّيَّتِكَ مِنْ خِلاَلِهِ، فَهَذَا (الدِّينُ) يَبْنِي القِيمَةَ الذَّاتِيَّةَ لِلْفَرْدِ مَعَ الحِفَاظِ عَلَى تَمَاسُكِ المُجْتَمَعِ.

فَـ(عُبُودِيَّتُكَ للهِ) هِيَ الَّتِي تَمْنَحُكَ التَّحَرُّرَ مِنْ عُبُودِيَّةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالهَوَى، بَلْ تُحَرِّرُكَ مِنْ عُبُودِيَّةِ كُلِّ حَقِيرٍ وَدَنِيءٍ فِي الأَرْضِ.

وَنَحْنُ نَمْلِكُ فِي شَرِيعَتِنَا قَوَاعِدَ وَأُصُولَ سَامِيَةً فِي كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ المُوَافِقِ وَالمُخَالِفِ فِي العَقِيدَةِ وَالفِكْرِ.

وَلَكِنْ؛ جَهْلُ بَعْضِهِمْ بِهَذِهِ القَوَاعِدِ جَعَلَهُمْ يَحْكُمُونَ عَلَى الإِسْلاَمِ بِأَنَّهُ يُحَارِبُ أَوْ يُقْصِي حُقُوقَ الآخَرِينَ!!! وَهَذَا حُكْمٌ ظَالِمٌ، فَالعَالَمُ لَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى (الحُرِّيَّةِ) وَحُقُوقِ الإِنْسَانِ إِلاَّ بَعْدَ بُزُوغِ فَجْرِ الإِسْلاَمِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ تَطْبِيقٌ خَاطِئٌ نَتِيجَةَ هَجْرِ القَوَاعِدِ الكُلِّيَّةِ القَيِّمَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ الآخَرِ -أَيًّا كَانَ هَذَا الآخَر؛ فَلاَ يُنْسَبُ هَذَا الخَطَأُ إِلَى الإِسْلاَمِ بَلْ لِفَاعِلِ الخَطَأِ.

كَيْفَ تُحَدِّدُ أَهْدَافَكَ؟

عِنْدَ "صِنَاعَةِ الأَهْدَافِ" يَجِبُ مُرَاعَاةُ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) الَّذِي يَقْضِي بِمُرَاعَاةِ الأُمُورِ التَّالِيَةِ:

(١) أَنْ تَكُونَ (الأَهْدَافُ) وَاضِحَةً وَدَقِيقَةً وَمَفْهُومَةً.

(٢) تَنَاسُقُ (الأَهْدَافِ)، وَتَكَامُلُهَا، وَعَدَمُ تَعَارُضُهَا.

(٣) وَاقِعِيَّةُ (الأَهْدَافِ)؛ وَذَلِكَ بِإِمْكَانِيَّةِ تَحْقِيقِهَا فِي ظِلِّ الظُّرُوفِ الرَّاهِنَةِ وَالإِمْكَانَاتِ المُتَاحَةِ [مَعَ اسْتِبْعَادِ (الأَهْدَافِ) المُتَعَذِّرِ تَحْقِيقِهَا]، وَهَذِهِ (الوَاقِعِيَّةُ) يَجِبُ أَنْ تَتَحَقَّقَ عَلَى مُسْتَوَيَيْنِ؛ هُمَا:

أ. عَلَى مُسْتَوَى كُلِّ (هَدَفٍ) عَلَى حِدَةٍ، فَيَكُونُ كُلُّ (هَدَفٍ) مُمْكِنَ التَّحَقُّقِ.

ب. عَلَى مُسْتَوَى (الأَهْدَافِ) مُجْتَمِعَةٍ، فَتَكُونُ كُلُّهَا مُمْكِنَةَ التَّحَقُّقِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

(٤) صِيَاغَةُ (الأَهْدَافِ) بِشَكْلٍ قَابِلٍ لِلْقِيَاسِ -بِقَدْرِ المُسْتَطَاعِ- مِنْ أَجْلِ تَحْدِيدِ نِسْبَةِ النَّجَاحِ فِي تَحْقِيقِهَا، وَذَلِكَ بِرَبْطِهَا بِأَمْرٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الأُمُورِ التَّالِيَةِ:

أ. الزَّمَن: فَنَقُولُ -مَثَلاً: أَنَّ (الهَدَفَ) يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ فِي غُضُونِ أُسْبُوعَيْنِ.

ب. الكَمِّيَّة: بِأَنْ نُحَدِّدَ عَدَدًا أَوْ نِسْبَةً أَوْ حَجْمًا.

جـ. التَّكْلُفَة: بِأَنْ نُحَدِّدَ تَكْلُفَةً لِلْوُصُولِ إِلَى (الهَدَفِ).

(٥) تَرْتِيبُ (الأَهْدَافِ) بِحَسَبِ أَهَمِّيَّتِهَا.

(٦) أَنْ تَكُونَ (الأَهْدَافُ) مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ، فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ رَئِيسَةً (اسْتِرَاتِيجِيَّة) أَوْ فَرْعِيَّةً (تِكْتِيكِيَّة)، حَيْثُ أَنَّ النَّوْعَ الأَوَّلَ يَتَضَمَّنُ الثَّانِي.

- فَلَابُدَّ مِنْ تَقْسِيمِ (الأَهْدَافِ) إِلَى: أَهْدَافٍ اسْتِرَاتِيجِيَّة، وَأُخْرَى تَكْتِيكِيَّة، وَلَابُدَّ مِنْ عَدَمِ الخَلْطِ بَيْنَ هَذِهِ الأَنْوَاعِ مِنَ الأَهْدَافِ.

وَهُنَاكَ (أَهْدَافٌ): تَخْطِيطِيَّةٌ، وَتَنْفِيذِيَّةٌ.

- وَبَدْهِيٌّ أَنَّ (الأَهْدَافَ) الَّتِي نُحَدِّدُهَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي دَائِرَةِ (المَشْرُوعِ المُبَاحِ).

- وَنُنَبِّهُ عَلَى أَنَّ (**الهَدَفَ الأَسْمَى**) الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَسْعَى كُلُّ (إِنْسَانٍ)؛ هُوَ: الوُصُولُ إِلَى (مَرْضَاةِ اللهِ) .. تَحْقِيقُ العُبُودِيَّةِ الَّتِي أَرَادَهَا (اللهُ ﷻ)، وَمِنْ أَجْلِهَا خُلِقَ (الإِنْسَانِ)!!!

خَطِّطْ حَيَاتَكَ

"لَيْسَ العَاقِلُ الَّذِي إِذَا وَقَعَ فِي الأَمْرِ اِحْتَالَ لَهُ، وَلَكِنَّ العَاقِلَ يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهِ"

وَ"فَكِّرْ قَبْلَ التَّصَرُّفِ، ثُمَّ تَصَرَّفْ بِسُرْعَةٍ وَحَزْمٍ".

وَ"وَاجِهَ العَالَمَ كَمَا هُوَ؛ وَلَيْسَ كَمَا تَتَمَنَّى أَنْتَ أَنْ يَكُونَ". [الإِنْسَان لَا يَرَى إِلَّا مَا يُرِيدُ رُؤْيَتَهُ، يَرَى شُعُورَهُ وَإِحْسَاسَهُ وَلَا يَرَى الوَاقِعَ .. وَنَادِرًا مَا يَتَطَابَقُ هَذَا مَعَ ذَاكَ]

إِنَّهُ لَا يَتِمُّ شَيْءٌ بِغَيْرِ (**تَخْطِيطٍ** Planning)، وَعِنْدَمَا يَفْشَلُ (إِنْسَانٌ) فَهُوَ -بِالتَّأْكِيدِ- لَا يَقْصِدُ أَنْ يَفْشَلَ أَوْ أَنَّهُ يَتَلَذَّذُ بِذَلِكَ؛ فَهَذَا أَمْرٌ لَا يُعْقَلُ، فَسَبَبُ الفَشَلِ أَنَّهُ فَشَلَ فِي (التَّخْطِيطِ السَّلِيمِ)، فَلَا يُوجَدُ مَنْ يُخَطِّطُ مِنْ أَجْلِ الفَشَلِ؛ وَلَكِنَّهُ فَشَلَ فِي (التَّخْطِيطِ).

فَـ"الفَشَلُ فِي (التَّخْطِيطِ) يَعْنِي التَّخْطِيطَ لِلْفَشَلِ".

إِنَّ (**التَّخْطِيطَ**) هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ أَهَمِّيَّةَ المَرْءِ تَأْتِي قَبْلَ الحَدَثِ.

إِنَّ (**التَّخْطِيطَ**) -فِي الحَقِيقَةِ- هُوَ طَرِيقُ النَّجَاحِ لِأَيِّ عَمَلٍ تُمَارِسُهُ .. هُوَ المُسْتَقْبَلُ .. هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ مَسَارَكَ.

وَ(التَّخْطِيطُ) يَعْنِي: "تَحْدِيد الأَهْدَافِ الوَاجِب إِنْجَازِهَا بَعْدَ الاخْتِيَارِ مِنْ بَيْنِ البَدَائِلِ، وَتَحْدِيد الطَرِيقَةِ أَوِ الطُّرُقِ الوَاجِبِ اتِّبَاعِهَا لِإِنْجَازِ هَذِهِ الأَهْدَافِ".

فَـ(التَّخْطِيطُ) هُوَ: "المُوَاءَمَةُ بَيْنَ مَا هُوَ مَطْلُوبٌ، وَمَا هُوَ مُتَاحٌ عَمَلِيًّا، فَهُوَ يَعْنِي تَعْبِئَةَ وَتَنْسِيقَ وَتَوْجِيهَ المَوَارِدِ وَالطَّاقَاتِ وَالقُوَى؛ لِتَحْقِيقِ (أَهْدَافٍ) مُعَيَّنَةٍ، وَيَتِمُّ تَحْقِيقُ هَذِهِ (الأَهْدَافِ) فِي فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ تُحَدِّدُهَا (الخُطَّةُ)، وَتَعْمَلُ كُلُّ خُطَّةٍ عَلَى تَحْقِيقِ (الأَهْدَافِ) بِأَقَلِّ [جَهْدٍ] وَتَكْلِفَةٍ مُمْكِنَةٍ عَمَلِيًّا".

فَهُوَ نُقْطَةُ البِدَايَةِ لِلْقِيَامِ بِأَيِّ نَشَاطٍ؛ إِذْ أَنَّهُ الَّذِي يُحَدِّدُ الإِطَارَ الَّذِي يُبَيِّنُ نَوْعَ العَمَلِ الَّذِي

يَنْبَغِي القِيَامُ بِهِ، وَالأُسْلُوبَ الَّذِي يَجْدُرُ اتِّبَاعُهُ لِإِنْجَازِ هَذَا العَمَلِ وَالوَقْتَ الَّذِي يَسْتَغْرِقُهُ.

وَلَابُدَّ مِنَ (التَّخْطِيطِ) لِإِعْدَادِ وَتَنْفِيذِ (الأَهْدَافِ)؛ وَبِمُرُونَةٍ كَامِلَةٍ تَتَلَاءَمُ مَعَ الظُّرُوفِ وَالأَوْضَاعِ المُتَغَيِّرَةِ وَالفُرَصِ المُتَاحَةِ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفَهُّمٍ عَمِيقٍ لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ المُسْتَقْبَلُ، مَعَ وَضْعِ (الخُطَطِ) المُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ؛ لِتَحْقِيقِ أَعْظَمِ اسْتِغْلَالٍ لِلْفُرَصِ المُتَاحَةِ وَالعَمَلِ عَلَى تَقْلِيلِ أَثَرِ التَّغَيُّرَاتِ وَالمُتَغَيِّرَاتِ السَّلْبِيَّةِ عَلَى قَدْرِ الإِمْكَانِ، بِهَدَفِ تَحْقِيقِ أَقْصَى مَا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْهِ مِنَ الهَدَفِ المَأْمُولِ أَوِ الأَهْدَافِ.

وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ (التَّخْطِيطُ) مُحْكَمًا وَمُتَكَامِلاً خِلَالَ الأَجَلَيْنِ الطَّوِيلِ وَالقَصِيرِ حَتَّى يَكُونَ عَلَى (الإِنْسَانِ) أَنْ يَزِيدَ قُدْرَتَهُ عَلَى مُوَاجَهَةِ التَّغَيُّرِ وَمَخَاطِرِهِ، مُقَدِّرًا نَوَاحِي النَّشَاطِ المَطْلُوبِ وَأَيْضًا العَقَبَاتِ.

وَ(التَّخْطِيطُ) هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ الإِطَارَ لِلْعَمَلِ الَّذِي يَنْبَغِي القِيَامُ بِهِ، وَالأُسْلُوبَ الَّذِي اتِّبَاعُهُ، وَالوَقْتَ المُتَوَقَّعَ لِلْوُصُولِ إِلَى هَدَفٍ مُعَيَّنٍ؛ عَنْ طَرِيقِ خُطُوَاتٍ مُحَدَّدَةٍ يَتِمُّ عَلَيْهَا الإِنْجَازُ المُسْتَقْبَلِيُّ.

فَلَابُدَّ فِي (التَّخْطِيطِ) أَنْ تَكُونَ لَهُ نَظْرَةٌ إِلَى: المَاضِي، وَالحَاضِرِ، وَالمُسْتَقْبَلِ.

فَعَلَى (الإِنْسَانِ) مُحَاوَلَةُ التَّوَقُّعِ بِـ(الأَحْدَاثِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ) الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالأَمْرِ، مَعَ تَقْيِيمِ الأَدَاءِ وَالنَّتَائِجِ.

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الخَلَلِ المَنْهَجِيِّ فِي تَصَوُّرِ أَحْوَالِنَا وَحَلِّ أَزْمَاتِنَا؛ يَعُودُ إِلَى ضِيقِ مِسَاحَةِ الرُّؤْيَةِ، وَمِسَاحَةِ الفِعْلِ مَعًا، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِسَبَبِ فَقْدِ النَّظَرِ البَعِيدِ المَدَى [النَّظْرَة المُسْتَقْبَلِيَّةِ لِلْأَحْدَاثِ].

❁❁❁❁❁

❁ وَتَشْمَلُ وَظِيفَةُ (التَّخْطِيطُ) عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ (الأَنْشِطَةِ الفَرْعِيَّةِ) فِي مُقَدِّمَتِهَا [أَوْ: أَهَمُّ (**خُطُواتِ التَّخْطِيطِ** Planning steps)]؛ **هِيَ**:

- أ. **تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ** Objectives. أَوْ: **وَضْعِ الأَهْدَافِ** Sstablishing

Goals، وَهُوَ الإِجَابَةُ عَلَى سُؤَالِ: مَاذَا تُرِيدُ؟ وَهُوَ مِنَ الأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي تُحَدِّدُ (هُوِيَّةَ الإِنْسَانِ)، كَمَا تُحَدِّدُ مَا يَجِبُ أَنْ يَسْعَى لِتَنْفِيذِهِ. وَلاَبُدَّ أَنْ تُصَبَّ كَافَّةَ الجُهُودِ فِي ذَلِكَ؛ لأَنَّهَا (طُرُقُهُ Methods) لِتَنْفِيذِ هَذِهِ الأَهْدَافِ.

وَ(**تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ**) يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِطَرِيقَةٍ دَقِيقَةٍ وَوَاضِحَةٍ؛ كَالآتِي:

مَا الَّذِي تُرِيدُهُ؟ (What)، وَمَا الكَيْفِيَّةُ الَّتِي يُمْكِنُ بِهَا تَنْفِيذُ ذَلِكَ؟ (How)، وَمَا الوَقْتُ اللاَّزِمُ لِذَلِكَ؟ (When)، وَأَيْنَ يُمْكِنُ تَنْفِيذُ ذَلِكَ؟ (Where)، وَمَنِ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُسَاعِدُكَ فِي ذَلِكَ؟ (Who).

• ب. **جَمْعِ المَعْلُومَاتِ وَالتَّوَقُّعَاتِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ** [بِالذَّاتِ: فِي ظِلِّ ظُرُوفِ عَدَمِ التَّأَكُّدِ] وَالَّتِي تُبَيِّنُ الحَرَكَةَ المُسْتَقْبَلِيَّةَ وَالمُتَغَيِّرَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُؤَثِّرَ فِي تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ.

أَمَّا (**جَمْعُ المَعْلُومَاتِ**) فَهُوَ يَعْنِي تَحْدِيدَ مَوْقِفِ الإِنْسَانِ الحَالِي وَمَدَى قُرْبِهِ وَبُعْدِهِ عَنِ الأَهْدافِ .. وَمَا هِيَ إِمْكَانِيَّاتُهُ وَقُدُرَاتُهُ لِتَحْقِيقِ الهَدَفِ؟ .. وَتَحْدِيدَ العَوَامِلِ المُعَوِّقَةِ وَالعَقَبَاتِ؛ وَذَلِكَ لِتَحْدِيدِ الأَهْدَافِ الحَالِيَّةِ مِنْهَا وَالمُسْتَقْبَلِيَّةِ.

- فَهَلْ أَمْسَكْتَ بِمَفَاتِيحِ شَخْصِيَّتِكَ؟

هَلْ تَعْرِفَ نَوْعِيَّةَ شَخْصِيَّتِكَ؟ ... حَالَتَكَ الجَسَدِيَّة؟ .. وَالذِّهْنِيَّة؟ .. وَقُدْرَتَكَ العَقْلِيَّة؟ .. كُلَّ قُدُرَاتِكَ؟ .. وَسُلُوكِيَّاتِكَ؟ .. مَشَاعِرَكَ؟ .. وِجْدَانَكَ؟ .. الفِعْلَ وَرَدَّ الفِعْلِ؟ ... ؟!!

هَذَا؛ وَقَدْ حَرَصَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى (جَمْعِ المَعْلُومَاتِ) قَبْلَ (اتِّخَاذِ القَرَارِ)؛ كَمَا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَكَمَا فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ (وَهِيَ: الأَحْزَابَ)[1].

---

(١) فَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا (الخَنْدَق) فَلأَجْلِ الخَنْدَقِ الَّذِي حُفِرَ حَوْلَ المَدِينَةِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ الَّذِي أَشَارَ بِذَلِكَ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ ﷺ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ حَوْلَ المَدِينَةِ، وَعَمِلَ فِيهِ بِنَفْسِهِ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَسَارَعُوا إِلَى عَمَلِهِ [يُبَادِرُونَ قُدُومَ الْعَدُوِّ] حَتَّى فَرَغُوا مِنْهُ، [وَعِنْدَ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ أَنَّهُمْ

فَفِي غَزْوَةِ بَدْرٍ: رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ [كَمَا فِي (سُبُل الهُدَى وَالرَّشَاد، فِي سِيرَةِ خَيْرِ العِبَاد) لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الصَّالِحِيِّ الشَّامِيِّ] عَنْ أَبِي أَيُّوبٍ؛ قَالَ: لَمَّا سِرْنَا يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ؛ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرُونَ فِي القَوْمِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أُخْبِرُوا بِمَخْرَجِكُمْ؟**» فَقُلْنَا: وَاللهِ! مَا لَنَا طَاقَةٌ بِقِتَالِ القَوْمِ، وَلَكِنْ أَرَدْنَا العِيرَ. ثُمَّ قَالَ: «**مَا تَرُونَ فِي قِتَالِ القَوْمِ؟**» فَقُلْنَا مِثْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَ الحَدِيثَ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾ (الأَنْفَال/ ٥)، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ ذَفْرَانَ، فَسَلَكَ ثَنَايَا يُقَالُ لَهَا: الأَصَافِرُ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ: الدَّبَّةُ، وَتَرَكَ الحَنَانَ بِيَمِينٍ، وَهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالجَبَلِ العَظِيمِ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ، فَرَكِبَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنَ العَرَبِ؛ فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمَا حَتَّى تُخْبِرَانِي مَنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاكَ**» قَالَ: أَذَاكَ بِذَاكَ؟ قَالَ: «**نَعَم**»، قَالَ الشَّيْخُ: فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمُ اليَوْمَ بِكَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمُ اليَوْمَ بِكَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ؛ قَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَحْنُ مِنْ مَاءٍ**»، ثُمَّ انْصَرَفَا عَنْهُ، وَالشَّيْخُ يَقُولُ: مَا مِنْ مَاءٍ؟ أَمِنْ مَاءِ العِرَاقِ؟

أَقَامُوا فِي عَمَلِهِ قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَعِنْدَ الْوَاقِدِيِّ: أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ، وَفِي الرَّوْضَةِ لِلنَّوَوِيِّ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَفِي الهَدْيِ لابْنِ الْقَيِّمِ: أَقَامُوا شَهْرًا] وَجَاءَ المُشْرِكُونَ فَحَاصَرُوهُمْ.

وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا (الأَحْزَابَ) فَلاجْتِمَاعِ طَوَائِفَ مِنَ المُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ المُسْلِمِينَ؛ وَهُمْ: قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ وَاليَهُودُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ القِصَّةِ صَدْرَ سُورَةِ الأَحْزَابِ.

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ بِأَسَانِيدِهِ أَنَّ عِدَّتَهُمْ عَشَرَةُ آلَافٍ، قَالَ: وَكَانَ المُسْلِمُونَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَقِيلَ: كَانَ المُشْرِكُونَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَالمُسْلِمُونَ نَحْوَ الْأَلْفِ. وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ أَنَّ مُدَّةَ الْحِصَارِ كَانَتْ عِشْرِينَ يَوْمًا، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ إِلاَّ مُرَامَاةٌ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: ذَلِكَ الشَّيْخُ سُفْيَان الضَّمَيْرِيُّ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَمْسَى؛ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى مَاءٍ بِبَدْرٍ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ لَهُ، فَأَصَابُوا رَاوِيَةً لِقُرَيْشٍ فِيهَا أَسْلَمُ؛ غُلَامُ بَنِي الحَجَّاجِ، وَعَرِيض [بِفَتْحِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ ثُمَّ مُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ سَاكِنَةٍ ثُمَّ ضَادٍ مُعْجَمَةٍ- كَذَا فِي النُّورِ] أَبُو يَسَارٍ غُلَامُ بَنِي العَاصِ بْنِ سَعِيدٍ، فَأَتَوا بِهِمَا، فَسَأَلُوهُمَا وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي؛ فَقَالَا: نَحْنُ سُقَاةُ قُرَيْشٍ بَعَثُونَا نَسْقِيهِمْ مِنَ المَاءِ. فَكَرِهَ القَوْمُ خَبَرَهُمَا، وَرَجُوا أَنْ يَكُونَا لِأَبِي سُفْيَانَ (وَأَصْحَابِ العِيرِ)؛ فَضَرَبُوهُمَا.

فَلَمَّا أَذْلَقُوهُمَا قَالَا: نَحْنُ لِأَبِي سُفْيَانَ (وَنَحْنُ فِي العِيرِ)، فَتَرَكُوهُمَا.

وَرَكَعَ رَسُولُ الله ﷺ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْهِ ثُمَّ سَلَّمَ؛ وَقَالَ: «**إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا -وَاللهِ- إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ. أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ؟**» قَالَا: هُمْ -وَاللهِ- وَرَاءَ هَذَا الكَثِيبِ الَّذِي تَرَى بِالعُدْوَةِ القُصْوَى. فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ الله ﷺ: «**كَمِ القَوْمُ؟**» قَالَا: كَثِيرٌ. قَالَ: «**مَا عِدَّتُهُمْ؟**» قَالَا: لَا نَدْرِي. قَالَ: «**كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟**» قَالَا: يَوْمًا تِسْعًا وَيَوْمًا عَشْرًا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**القَوْمُ مَا بَيْنَ التِّسْعِمِائَةِ وَالأَلْفِ**»، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا رَسُولُ الله ﷺ: «**فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ؟**» قَالَا: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو البُخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَالحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ، وَزَمْعَةُ بْنُ الأَسْوَدِ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَنَبِيهُ وَمُنَبِّهُ ابْنَا الحَجَّاجِ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدُودٍ.

فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى النَّاسِ؛ فَقَالَ: «**هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا**».

وَفِي **غَزْوَةِ الخَنْدَقِ (وَهِيَ: الأَحْزَاب)**: رَوَى البُخَارِيُّ (ح ٣٧٢٠) عَنْ جَابِرٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ؟**» قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».

وَفِي (فَتْحِ البَارِي): رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي (الدَّلَائِلِ) مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِحُذَيْفَةَ: أَدْرَكْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلَمْ نُدْرِكْهُ. فَقَالَ: يَا بْنَ أَخِي! وَاللهِ! لَا تَدْرِي لَوْ أَدْرَكْتَهُ كَيْفَ تَكُونُ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ الْخَنْدَقِ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مَطِيرَةٍ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَذْهَبُ فَيَعْلَمُ لَنَا عِلْمَ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ رَفِيقَ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، فَوَاللهِ! مَا قَامَ أَحَدٌ، فَقَالَ لَنَا الثَّانِيَةَ: «**جَعَلَهُ اللهُ رَفِيقِي**»، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اِبْعَثْ حُذَيْفَةَ. فَقَالَ: «**اذْهَبْ**»، فَقُلْتُ: أَخْشَى أَنْ أُؤْسَرَ. قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تُؤْسَرَ**»، فَذَكَرَ أَنَّهُ اِنْطَلَقَ، وَأَنَّهُمْ تَجَادَلُوا، وَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ الرِّيحَ فَمَا تَرَكَتْ لَهُمْ بِنَاءً إِلَّا هَدَمَتْهُ وَلَا إِنَاءً إِلَّا أَكْفَأَتْهُ.

وَمِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ سَرِيعِ بْنِ حُذَيْفَةَ نَحْوُهُ؛ وَفِيهِ: إِنَّ عَلْقَمَةَ بْنَ عُلَاثَةَ صَارَ يَقُولُ: يَا آلَ عَامِرٍ! إِنَّ الرِّيحَ قَاتِلَتِي وَتَحَمَّلَتْ قُرَيْشٌ وَإِنَّ الرِّيحَ لَتَغْلِبُهُمْ عَلَى بَعْضِ أَمْتِعَتِهِمْ.

وَرَوَى الحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْعَزِيزِ اِبْنِ أَخِي حُذَيْفَةَ عَنْ أَبِي حُذَيْفَةَ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ فَوْقِنَا، وَقُرَيْظَةُ أَسْفَلَ مِنَّا نَخَافُهُمْ عَلَى ذَرَارِيِّنَا، وَمَا أَتَتْ عَلَيْنَا أَشَدُّ ظُلْمَةً وَلَا رِيحًا مِنْهَا، فَجَعَلَ الْمُنَافِقُونَ يَسْتَأْذِنُونَ وَيَقُولُونَ: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ. فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا جَاثٍ عَلَى رُكْبَتَيَّ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا ثَلَاثُمِائَةٍ؛ فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، قَالَ: فَدَعَا لِي؛ فَأَذْهَبَ اللهُ عَنِّي الْقَرَّ وَالْفَزَعَ، فَدَخَلْت عَسْكَرَهُمْ؛ فَإِذَا الرِّيحُ فِيهِ لَا تُجَاوِزُهُ شِبْرًا، فَلَمَّا رَجَعْتُ رَأَيْتُ فَوَارِسَ فِي طَرِيقِي؛ فَقَالُوا: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاهُ الْقَوْمَ.

وَأَصْلُ هَذَا الحَدِيثِ عِنْد مُسْلِمٍ بِاخْتِصَارٍ. أ.هـ.

• ج. **وَضْع الفُرُوضِ وَتَحْدِيدِ المَسَارَاتِ البَدِيلَةِ**؛ حَيْثُ يَضَعُ الإِنْسَانُ فُرُوضًا تَتَعَلَّقُ بِأَفْضَلِ الظُّرُوفِ وَأَسْوَئِهَا وَالْمُتَوَسِّطِ مِنْهَا، وَتُوضَعُ كُلُّ الخُطُوَاتِ التَّالِيَةِ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ؛ بِمُرُونَةٍ كَامِلَةٍ.

• دـ **تَحْدِيد وَتَقْيِيم الإِجْرَاءَاتِ وَالخُطَطِ وَالبَدَائِلِ المُتَاحَةِ**، وَهُوَ أَمْرٌ بَالِغُ التَّعْقِيدِ فِي العَادَةِ. فَمَثَلًا (دَاعِيَةٌ) يَمْلِكُ القُدْرَةَ عَلَى الدَّعْوَةِ ..وَلَكِنْ مَاذَا يَصْنَعُ إِذَا مُنِعَ مِنَ الدَّعْوَةِ وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا لأَيِّ سَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ؟ هُنَاكَ العَدِيدُ مِنَ الحُلُولِ .. إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ الفَرْدِيَّةَ .. وَالكِتَابَةَ، فَإِنْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ؛ فَلَابُدَّ أَنْ يَضَعَ فِي ذِهْنِهِ أَنَّ أَسَاسَ الدَّعْوَةِ: الفِعْلُ .. فَتَكُونُ حَرَكَتُهُ كُلُّهَا دَعْوَةً؛ بِمِثْلِ التَّعَامُلِ اللَّطِيفِ مَعَ النَّاسِ .. وَالابْتِسَامَةِ .. وَالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ .. وَحَتَّى لَوْ وَصَلَ الحَالُ إِلَى تَنْظِيفِ دَوْرَاتِ المِيَاهِ فِي المَسْجِدِ[1]، فَإِنَّ هَذِهِ مِنَ الصَّدَقَاتِ الَّتِي يُرْجَى أَجْرُهَا يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ اللهِ.

• هـ- **إِعْدَاد الإِسْتِرَاتِيجِيَّاتِ** Strategies، وَالخُطَّةِ العَامَّةِ، وَوَضْع الخُطَطِ الفَرْعِيَّةِ.

---

(١) فَلَا تَسْتَصْغِرْ حَسَنَةً تُقَدِّمُهَا مَهْمَا كَانَتْ .. فَلَا تَسْتَصْغِرْ عَمَلَكَ وَلَا دَوْرَكَ فِي الحَيَاةِ.

وَجَاءَ فِي (قَصَص وَمَعَانِي) جَمْعُ وَإِعْدَادُ/ عَلَاء صَادِق تَحْتَ عُنْوَانِ [المَلِك وَالسَّاقِي وَالجَرَّتَيْنِ]؛ مَا يَلِي: كَانَ لأَحَدِ المُلُوكِ سَاقِي يُحْضِرُ لَهُ المَاءَ يَوْمِيًّا، وَكَانَ عِنْدَ السَّاقِي جَرَّتَيْنِ؛ وَاحِدَةٌ سَلِيمَةٌ وَالأُخْرَى فِيهَا تَشَقُّقَاتٌ، وَكَانَ يَمْلَأُهُمَا بِالمَاءِ وَيَأْخُذُهُمْ لِلْمَلِكِ، وَالمَلِكُ كُلَّ يَوْمٍ يَشْرَبُ مِنَ الجَرَّةِ السَّلِيمَةِ، وَيُزْعِجُهُ شَكْل الجَرَّةِ القَدِيمَةِ الَّتِي فَقَدَتْ نِصْفَ مَاءِهَا وَابْتَلَّتْ مِنْ خَارِجِهَا.

فِي أَحَدِ الأَيَّامِ؛ اشْتَكَتِ الجَرَّةُ القَدِيمَةُ لِلسَّاقِي؛ وَقَالَتْ لَهُ: لِمَاذَا تُعَذِّبُنِي هَكَذَا، وَتَجْعَلُنِي أَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ المَلِكِ، وَهُوَ كُلَّ يَوْمٍ يُفَضِّلُ الأُخْرَى؟ إِذَا كُنْتُ لاَ أَصْلُحُ؛ فَاتْرُكْنِي وَاشْتَرِي جَرَّةً جَدِيدَةً.

قَالَ لَهَا السَّاقِي: اِصْبِرِي؛ غَدًا سَأُبَيِّنُ لَكِ: لِمَاذَا أَحْتَفِظُ بِكِ؟!

وَفِي الغَدِ؛ مَلأَ الجَرَّتَيْنِ كَالعَادَةِ؛ ثُمَّ قَالَ لَهَا: انْظُرِي خَلْفَكِ. فَرَأَتْ أَنَّ الجِهَةَ الَّتِي تَمُرُّ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ امْتَلأَتْ بِالخُضْرَةِ وَالأَزْهَارِ، وَالْتَفَّ حَوْلَهُ الفَرَاشَاتُ وَالنَّحْلُ بِسَبَبِ المَاءِ الَّذِي تَفْقِدُهُ كُلَّ يَوْمٍ. أَمَّا الجَرَّةُ السَّلِيمَةُ؛ فَكَانَتْ جِهَتُهَا جَافَّةً قَاحِلَةً، لأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَتْرُكْ مَاءً فِي الطَّرِيقِ. ثُمَّ قَالَ لَهَا السَّاقِي: هَذَا دَوْرُكِ أَنْتِ، وَلاَ تُقَارِنِي نَفْسَكِ بِالجَرَّةِ السَّلِيمَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا إِلاَّ سِقَايَةَ المَلِكِ، أَمَّا أَنْتِ فَلَكِ رِسَالَةٌ أَكْبَرُ، وَانْظُرِي لِلَّذِينَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْكِ.

العِبْرَةُ عَلَى صَاحِبِ الرِّسَالَةِ أَنْ يُقَارِنَ نَفْسَهُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ كَالأَنْعَامِ. رُبَّمَا صَحِيحٌ قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُمْ مَالٌ أَوْ جَاهٌ أَكْثَر مِنْهُ؛ لَكِنَّ دَوْرَهُ فِي الحَيَاةِ أَعْمَقُ وَأَكْبَرُ.

وَذَلِكَ بِاخْتِيَارِ أَفْضَلِ (البَدَائِلِ) المُتَاحَةِ تَحْقِيقًا لِلأَهْدَافِ، ثُمَّ يَسْعَى الإِنْسَانُ إِلَى وَضْعِ العَدِيدِ مِنَ (الخُطَطِ الفَرْعِيَّةِ) الَّتِي تَعْمَلُ فِي فَلَكِ وَإِطَارِ (الخُطَّةِ العَامَّةِ).

وَيَجِبُ أَنْ تَتَمَيَّزَ (الخُطَطُ) المُخْتَارَةُ بِالمُرُونَةِ وَالقُدْرَةِ عَلَى مُقَابَلَةِ الظُّرُوفِ المُتَغَيِّرَةِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ.

• **وِ. إِعْدَاد (المُوازَنَاتِ التَّخْطِيطِيَّةِ)، وَتَجْهِيز (الإِمْكَانِيَّاتِ) اللاَّزِمَةِ** [عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ وَالاِسْتِطَاعَةِ؛ فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾ (الأَنْفَال/٦٠)].

❁❁❁❁❁

وَيَنْقَسِمُ (**التَّخْطِيطُ**) إِلَى (**تَخْطِيطٍ اسْتِرَاتِيجِيّ**) يَقُومُ بِـ(تَحْدِيدِ أَهْدَافٍ رَئِيسَةٍ) تُسَمَّى (الغَايَاتُ) أَوْ (أَهْدَافٌ عُلْيَا) بَعِيدَةُ المَدَى أَوْ (أَعْلَى مُسْتَوَيَاتِ الأَهْدَافِ)، وَهُوَ (تَخْطِيطٌ عَالِي المَعَايِيرِ وَالمُسْتَوَى)؛ يَقُومُ بِتَحْدِيدِ (**أَهْدَافٍ تَخْطِيطِيَّةٍ**) (أَهْدَافٍ مَرْحَلِيَّةٍ) (فَرْعِيَّة) الَّتِي يُؤَدِّي تَحْقِيقُهَا إِلَى أَحْدَاثِ تَغْيِيرَاتٍ حَادَّةٍ هَامَّةٍ؛ وَهِيَ: أَهْدَافٌ مُبَاشِرَةٌ أَوْ أَهْدَافٌ صُغْرَى أَوْ أَهْدَافٌ قَرِيبَةٌ أَوْ أَهْدَافٌ خَاصَّةٌ. وَمُحَاوَلَة الوُصُولِ إِلَيْهَا عَنْ طَرِيقِ الاسْتِخْدَامِ الأَمْثَلِ لِكَافَّةِ الإِمْكَانَاتِ وَالوَسَائِلِ المُتَاحَةِ وَالمُتَوَفِّرَةِ.

❁❁❁❁❁

وَتَخْتَلِفُ (الأَهْدَافُ) مِنْ مَوْقِفٍ لآخَرَ، وَمِن (اسْتِرَاتِيجِيَّة) لأُخْرَى؛ وَذَلِكَ تَبْعًا لِتَبَايُنِ طَبِيعَةِ وَأَهَمِّيَّةِ ذَلِكَ الهَدَفِ وَتَبَعًا لِلإِمْكَانَاتِ وَالقُدُرَاتِ المُتَاحَةِ. وَقَدْ يَكُونُ (الهَدَفُ) صَغِيرًا مَحْدُودًا أَوْ كَبِيرًا؛ غَيْرَ أَنَّ جَمِيعَ (الأَهْدَافِ) تَشْتَرِكُ فِي كَوْنِهَا جَمِيعًا (الهَدَفَ النِّهَائِيَّ) الَّذِي عُيِّنَ وَحُدِّدَ سَلَفًا مِنْ قَبْل.

وَقَدْ يَكُونُ اخْتِيَارُ هَذِهِ (الاسْتِرَاتِيجِيَّة) أَوْ تِلْكَ صَائِبًا فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ مُعَيَّنَيْنِ وَغَيْرَ صَائِبٍ فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ آخَرَ، فَـ(الاسْتِرَاتِيجِيَّة) تَتَأَثَّرُ بِعَوَامِلِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ وَبِعَقْلِيَّةِ المُخَطِّطِينَ وَظُرُوفِ العَصْرِ وَتِقْنِيَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ العَوَامِلِ.

وَلاَبُدَّ مِنْ إِعْدَادِ (**المُحْتَوَى**) المُلاَئِمَ لِتَحْقِيقِهِ، وَتُضَمِّنُهُ خِبرَاتٍ وَحَقَائِقَ وَقِيَمًا؛ تَعْمَلُ مُجْتَمِعَةً عَلَى بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ المَطْلُوبَةِ، وَالَّتِي تُمَكِّنُهَا مِنْ العَمَلِ عَلَى إِشْبَاعِ حَاجَاتِهَا[1]، وَالوُصُولِ إِلَى الغَايَةِ المَرْجُوَّةِ [وَبالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ: غَايَتُهُ الوُصُولُ إِلَى مَرْضَاةِ اللهِ؛ بِالعَمَلِ بِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ].

وَكَانَ لاَبُدَّ مِنْ مُحَاوَلَةِ (**تَوْلِيدِ الأَفْكَارِ**) الجَدِيدَةِ وَالمُتَنَامِيَةِ [بَعْدَ إِخْضَاعِهَا لِلتَّحْلِيلِ، وَالمُحَاكَمَةِ] الَّتِي تُؤَهِّلُ لِلْغَوْصِ فِي أَعْمَاقِ القَضَايَا المَطْرُوحَةِ، وَإِيجَادِ حُلُولٍ مُلاَئِمَةٍ لَهَا؛ حَتَّى

---

(١) (الحَاجَةُ) شُعُورٌ بِالحِرْمَانِ يُلِحُّ عَلَى الفَرْدِ مِمَّا يَدْفَعُهُ لِلْقِيَامِ بِمَا يُسَاعِدُهُ لِلْقَضَاءِ عَلَى هَذَا الشُّعُورِ لإِشْبَاعِ حَاجَتِهِ.

وَهُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ تَصْنِيفٍ لِلْحَاجَاتِ؛ فَقَدْ تُقَسَّمُ إِلَى: حَاجَاتٍ أَوَّلِيَّةٌ، وَحَاجَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ.

- الحَاجَاتُ الأَوَّلِيَّةُ هِيَ الحَاجَاتُ اللاَّزِمَةُ لِحِفْظِ وُجُودِ الإِنْسَانِ؛ مِثْل: الغِذَاءِ وَالمَلْبَسِ وَالمَسْكَنِ.

- الحَاجَاتُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ؛ وَهِيَ الَّتِي يَفْرِضُهَا التَّطَوُّرُ الاِجْتِمَاعِيُّ، مِثْلُ: التَّعَلُّمِ وَاكْتِسَابِ الخِبرَاتِ وَتَوْفِيرِ وَسَائِلِ النَّقْلِ.

وَقَدْ تُقَسَّمُ الحَاجَاتِ إِلَى: حَاجَاتٍ فَرْدِيَّةٍ، وَحَاجَاتٍ جَمَاعِيَّةٍ.

- الحَاجَاتُ الفَرْدِيَّةُ؛ هِيَ الحَاجَاتُ الَّتِي يَقْتَصِرُ نَفْعُهَا عَلَى شَخْصٍ وَاحِدٍ مِثْل: الغِذَاءِ.

- الحَاجَاتُ الجَمَاعِيَّةُ؛ هِيَ الَّتِي يَرْجِعُ نَفْعُهَا لِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الأَفْرَادِ مِثْل: الحَاجَةِ إِلَى الأَمْنِ وَالعَدَالَةِ.

وَمِنْ خَصَائِصِ (الحَاجَاتِ):

- قَابِلِيَّتُهَا لِلإِشْبَاعِ: فَاسْتِخْدَامُ الوَسَائِلِ المُنَاسِبَةِ يُؤَدِّي تَدْرِيجِيًّا إِلَى تَنَاقُصِ الشُّعُورِ بِالحِرْمَانِ.

- الزِّيَادَةُ المُسْتَمِرَّةُ: فَكُلَّمَا نَجَحَ الفَرْدُ وَالمُجْتَمَعُ فِي إِشْبَاعِ حَاجَةٍ مُعَيَّنَةٍ تَظْهَرُ حَاجَاتٌ جَدِيدَةٌ ذَاتُ أَهَمِّيَّةٍ مُتَزَايِدَةٍ.

- التَّطَوُّرُ المُسْتَمِرُّ: كُلَّمَا ذَادَ تَقَدُّمُ الإِنْسَانِ تَطَوَّرَتْ حَاجَاتُهُ. [انْظُرْ: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة]

وَهُنَاكَ (حَاجَةٌ لاَشُعُورِيَّةٌ) وَهِيَ حَاجَةُ الفَرْدِ لِعَمَلِ شَيْءٍ مَا أَوْ تَحْقِيقِ أَمْرٍ مَا؛ وَلَكِنَّهُ لاَ يَشْعُرُ وَلاَ يُدْرِكُ أَنَّ عِنْدَهُ هَذِهِ الرَّغْبَة؛ بِحَيْثُ لَوْ سُئِلَ عَنْهَا لأَنْكَرَهَا صَادِقًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَغَالِبًا مَا تَظْهَرُ حَاجَاتُ الفَرْدِ الاَّشُعُورِيَّةِ فِي أَحْلاَمِهِ أَوْ هَفَوَاتِهِ.

يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَى الهَدَفِ.

❁❁❁❁❁

❁ وَلَا بُدَّ أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلَى (المَنْطِقِ) الَّذِي يَتْبَعُهُ الإِنْسَانُ فِي (التَّفْكِيرِ) فِي الأَشْيَاءِ وَ(اتِّخَاذِ القَرَارِ) بِشَأْنِهَا؛ **وَهَذَا (المَنْطِقُ) لَهُ حُدُودٌ ثَلَاث:**

١. الإِنْسَانُ مُحَدَّدٌ بِمَهَارَاتِهِ وَعَادَاتِهِ وَتَقَالِيدِهِ وَانْفِعَالَاتِهِ حَتَّى اللَّاشُعُورِيَّةِ.

٢. الإِنْسَانُ مُحَدَّدٌ بِقِيَمِهِ وَمَفَاهِيمِهِ عَنِ الهَدَفِ الَّذِي يَسْعَى إِلَيْهِ.

٣. الإِنْسَانُ مُحَدَّدٌ بِمَدَى المَعَارِفِ وَالمَعْلُومَاتِ الَّتِي يَحْصُلُ عَلَيْهَا طُوَالَ حَيَاتِهِ السَّابِقَةِ.

❁ **فَلَابُدَّ فِي (اتِّخَاذِ القَرَارِ) مِنْ:**

١. تَحْدِيدِ المَعَايِيرِ وَالمَبَادِئِ الأَسَاسِيَّةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تُتْرَكَ وَيَجِبُ التَّحَلِّي بِهَا مَهْمَا كَانَتِ النَّتَائِجِ وَمَا يُمْكِنُ التَّخَلِّي وَالتَّنَازُلُ عَنْهُ.

فَيَجِبُ أَنْ يُوضَعَ فِي الاعْتِبَارِ -مَثَلًا- أَنَّهُ يَجِبُ التَّعَامُلِ بِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ مَعَ الجَمِيعِ: القَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَالغَنِيِّ وَالفَقِيرِ، المَحْبُوبِ وَالبَغِيضِ ... وَمَنْ أَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمَنْ لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لله!

وَأَنَّنَا يَجِبُ أَنْ لَا نَسِيرَ عَلَى المَبْدَأِ (المِيكَافِيلِّي): "الغَايَةُ تُبَرِّرُ الوَسِيلَةَ"، بِلِ (الغَايَةُ) الشَّرِيفَةُ يَجِبُ أَنْ نَصِلَ إِلَيْهَا بِـ(الوَسَائِلِ) الشَّرِيفَةِ.

٢. التَّعَرُّفِ بِمَوْضُوعِيَّةٍ عَلَى (الإِمْكَانِيَّاتِ) المُتَاحَةِ. [مَا فِي يَدِكَ، وَمَا يُمْكِنُ أَنْ تَحْصُلَ عَلَيْهِ]

٣. تَحْدِيدِ إِيجَابِيَّاتِ وَسَلْبِيَّاتِ (القَرَارِ) وَالمُوَازَنَةِ بَيْنَ النَّتَائِجِ [عَوَاقِبِ القَرَارِ]، وَمَدَى القُدْرَةِ عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ السَّلْبِيَّاتِ، .. مَعَ عَدَمِ اليَأْسِ.

٤. الاسْتِشَارَةِ وَالاسْتِخَارَةِ، ثُمَّ ... التَّوَكُّلِ عَلَى الله.

٥. الرِّضَا بِقَضَاءِ الله وَقَدَرِهِ.

❁❁❁❁❁

❁ أَمَّا عَنْ خُطُوَاتِ أَوْ مَرَاحِلِ عَمَلِيَّةِ (اتِّخَاذِ القَرَارِ)؛ فَالعُلَمَاءُ يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ عَمَلِيَّةَ (اتِّخَاذِ القَرَارِ) تَمُرُّ بِالخُطُوَاتِ الآتِيَةِ:

١. تَحْدِيد المُشْكِلَةِ. ٢. تَحْلِيل المُشْكِلَةِ. ٣. تَحْدِيد البَدَائِلِ وَالاخْتِيَارَاتِ.

٤. تَقْيِيم هَذِهِ البَدَائِلِ وَالاخْتِيَارَاتِ. ٥. اخْتِيَار أَفْضَلِ بَدِيلٍ.

٦. تَحْوِيل القَرَارِ إِلَى عَمَلٍ فِعْلِيٍّ.

- أَوَّلًا: **تَحْدِيد المُشْكِلَةِ**: يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَحْدِيد المُشْكِلَةِ لأَنَّهُ البَدْهِيُّ أَنَّ المُشْكِلَةَ لَا تَأْتِي بِنَفْسِهَا لاتِّخَاذِ قَرَارٍ بِشَأْنِهَا مَعَ التَّنَبُّهِ لِعَنَاصِرِ المُشْكِلَةِ ... وَهَلْ هِيَ حَقِيقَةٌ أَمْ مُضَلِّلَةٌ؟

وَالقَرَارَاتُ تَحْتَاجُ إِلَى الإِدْرَاكِ السَّلِيمِ لِحَقِيقَةِ المَوْقِفِ وَحَقِيقَةِ قُدْرَاتِنَا؛ وَهِيَ:

أ. تَقْلِيدِيَّةٌ؛ وَتَتَعَلَّقُ بِالمُشْكِلَاتِ العَادِيَّةِ اليَوْمِيَّةِ وَبِحَرَكَةِ الإِنْسَانِ فِي الحَيَاةِ.

١. قَرَارَاتٌ رُوتِينِيَّةٌ؛ تَتَعَلَّقُ بِالأُمُورِ المُتَكَرِّرَةِ المَيْسُورَةِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى جَهْدٍ كَبِيرٍ فِي اتِّخَاذِ القَرَارِ بِشَأْنِهَا، بَلْ رُبَّمَا تَتِمُّ بِطَرِيقَةٍ تِلْقَائِيَّةٍ وَفَوْرِيَّةٍ وَمَعَ ذَلِكَ يَجِبُ التَّنَبُّهُ لأَهَمِّيَّتِهَا.

٢. قَرَارَاتٌ مُتَخَصِّصَةٌ؛ وَمَعَ أَنَّهَا لَا تَتَشَابَهُ مَعَ سَابِقَتِهَا فِي أَنَّهَا مُتَكَرِّرَةٌ إِلَّا أَنَّهَا تَحْتَاجُ لِسُؤَالِ أَهْلِ الاخْتِصَاصِ وَالعِلْمِ بِذَلِكَ.

ب. قَرَارَاتٌ حَيَوِيَّةٌ وَرُبَّمَا مَصِيرِيَّةٌ؛ وَهَذِهِ تَحْتَاجُ لِمَزِيدٍ مِنَ الدِّرَاسَةِ المُسْتَفِيضَةِ المُتَخَصِّصَةِ وَالبَحْثِ المُتَعَمِّقِ وَالتَّأَمُّلِ، مَعَ بَحْثِ جَمِيعِ الفُرُوضِ وَالاحْتِمَالَاتِ وَمَعْرِفَةِ كُلِّ الأَسَالِيبِ وَالإِمْكَانِيَّاتِ المُتَاحَةِ.

- ثَانِيًا: **تَحْلِيل المُشْكِلَةِ**: أَيْ تَصْنِيفُهَا وَتَجْمِيعُ المَعْلُومَاتِ وَالحَقَائِقِ اللَّازِمَةِ حَوْلَهَا، وَإِدْرَاكُ مَدَى دِقَّةِ وَسَلَامَةِ المَعْلُومَاتِ وَصِحَّتِهَا وَتَنْظِيمِهَا وَتَحْلِيلِهَا بِالصُّورَةِ الَّتِي تَسْمَحُ بِالاسْتِفَادَةِ مِنْهَا، وَاسْتِخْدَامِهَا بَعْدَ تَصْفِيَتِهَا وَاسْتِخْلَاصِ النَّتَائِجِ.

- ثَالِثًا: **تَحْدِيدُ البَدَائِلِ وَالاخْتِيَارَاتِ**: وَهِيَ بِمَثَابَةِ العَمَلِيَّةِ التَّمْهِيدِيَّةِ الذِّهْنِيَّةِ،

وَيَتَوَصَّلُ الإِنْسَانُ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى **أَرْبَعَةِ مَوَاقِف**:

١. اتِّخَاذِ قَرَارٍ مُعَيَّنٍ.

٢. طَرْحِ الْمُشْكِلَةِ جَانِبًا:

٣. إِرْجَاءِ الْمُشْكِلَةِ.

٤. عَدَمِ اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ؛ (فَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ هُوَ القَرَارُ الْمُنَاسِبُ).

- رَابِعًا: **تَقْيِيم البَدَائِلِ وَالاخْتِيَارَاتِ**: وَذَلِكَ بَعْدَ دِرَاسَةِ (البَدَائِلِ) وَمَعْرِفَةِ المَزَايَا وَالعُيُوبِ، وَتَنْطَوِي (عَمَلِيَّةُ التَّقْيِيمِ) عَلَى عَامِلَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ:

١. تَحْدِيد العَوَامِلِ الاسْتِرَاتِيجِيَّةِ [الأَهْدَاف الرَّئِيسَة] الَّتِي يَجِبُ تَرْكِيزُ الاهْتِمَامِ عَلَيْهَا، مَعَ الوَضْعِ فِي الاعْتِبَارِ أَنَّ هَذِهِ العَوَامِلِ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَتَغَيَّرَ لاعْتِبَارَاتٍ كَثِيرَةٍ.

٢. التَّنَبُّؤ (Forecasting) بِالنَّتَائِجِ الْمُتَوَقَّعَةِ لِكُلِّ بَدِيلٍ، وَ(النَّظْرَةِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ طَوِيلَةِ الأَجَلِ Long-rang out look Futuring).

وَذَلِكَ لِتَقْدِير الظُّرُوفِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ وِفْقًا لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَسَالِيبِ العِلْمِيَّة وَالعَمَلِيَّةِ لِلْوُصُولِ إِلَى الهَدَفِ أَوْ إِعَادَةِ صِيَاغَتِهِ، فَالاخْتِيَارُ يَقُومُ عَلَى الاحْتِمَالَاتِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ لِهَذَا الاحْتِمَالِ أَوْ ذَاك وَالنَّتَائِجِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى ذَلِكَ وَالمَسَالِكِ البَدِيلَةِ وَتَقْوِيمِهَا وَالْمُفَاضَلَةِ بَيْنَهَا بِشَكْلٍ مَوْضُوعِيٍّ (فَالاخْتِيَارُ عَمَلِيَّةٌ مُرَكَّبَةٌ وَمُتَشَابِكَةٌ).

وَلَابُدَّ أَنْ يُوضَعَ فِي الْحُسْبَانِ: الْمُتَغَيِّرَاتُ التِّكْنُولُوجِيَّةِ وَالِاقْتِصَادِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالقَانُونِيَّةِ ... وَمُحَاوَلَةِ التَّكَيُّفِ وَالتَّوَازُنِ مَعَ البِيئَةِ الْمُحِيطَةِ بَلْ وَأَحْيَانًا العَوَامِلِ الدُّوَلِيَّةِ.

إِنَّهَا الْمُحَاوَلَةُ لِلإِجَابَةِ عَلَى السُّؤَالِ الصَّعْبِ: **عَلَامَ سَتَكُونُ (صُورَةُ الغَدِ)؟**

هَذَا سُؤَالٌ كَثِيرًا مَا يُرَاوِدُنَا؛ وَغَالِبًا تَكُونُ الإِجَابَةُ: اللهُ أَعْلَمُ، فَهَذَا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ ﷻ بِهِ، وَلَكِنْ -بِالتَّأْكِيدِ- (صُورَةُ الغَدِ) سَتَخْتَلِفُ عَنْ (صُورَةِ اليَومِ)، إِنَّهَا لَابُدَّ أَنْ

تَكُونَ مُتَغَيِّرَةً .. وَلَكِنْ؛ إِلَى أَيِّ دَرَجَةٍ؟ ... لَا يَسْتَطِيعُ وَاحِدٌ مِنَّا أَنْ يُجِيبَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ إِجَابَةً قَاطِعَةً؛ لأَنَّنَا أَصْبَحْنَا نَعِيشُ فِي عَالَمٍ مُعَقَّدٍ يَتَغَيَّرُ بِصُورَةٍ سَرِيعَةٍ وَمُتَلَاحِقَةٍ ... فَـ(عَدَمُ التَّأَكُّدِ Uncertainty) أَمْرٌ وَلِيدِ التَّغَيُّرِ.

- خَامِسًا: **المُوَازَنَةُ المَوْضُوعِيَّةُ بَيْنَ (البَدَائِلِ) المُتَاحَةِ**، وَاخْتِيَارُ أَفْضَلِ بَدِيلٍ أَوْ أَقْرَبِهَا إِلَى حَلِّ الأَزْمَةِ، وَتَحْقِيقُ المَصْلَحَةُ فِيمَا لَا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ الإِسْلَامِيَّةَ، وَذَلِكَ بِنَاءً عَلَى بَعْضِ المَعَايِيرِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ؛ مِثْل: الخِبْرَةِ السَّابِقَةِ، وَالإِمْكَانِيَّاتِ المُتَاحَةِ، وَمَدَى الجَهْدِ اللَّازِمِ لِتَحْقِيقِهَا، وَمُحَاوَلَةِ تَجْرُبَةِ أَحَدِ البَدَائِلِ، وَمُحَاوَلَةِ مَعْرِفَةِ الأَخْطَارِ وَالنَّتَائِجِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَعِنْدَئِذٍ يُمْكِنُ أَنْ يُتَّخَذَ القَرَارَ وَيَتَحَوَّلَ إِلَى عَمَلٍ فَعَّالٍ؛ [وَهِيَ النُّقْطَةُ الآتِيَةُ].

• وَهَذَا مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا جَمَعَ أَصْحَابَهُ فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ يَأْخُذُ رَأْيَهُمْ، فَعَرَضُوا عَلَيْهِ آرَاءَهُمْ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الآرَاءِ رَأْيُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ ﷺ الَّذِي أَشَارَ إِلَى حَفْرِ الخَنْدَقِ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَأْيِ سَلْمَانَ؛ لأَنَّهُ الأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ.

كَمَا أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَأْيِ زَوْجِهِ (أُمِّ سَلَمَةَ) فِي يَوْمِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ. [وَ(الحُدَيْبِيَةُ): بِئْرٌ سُمِّيَ المَكَانُ بِهَا، وَقِيلَ: شَجَرَةٌ حَدْبَاءُ صُغِّرَتْ وَسُمِّيَ المَكَانُ بِهَا. قَالَ المُحِبُّ الطَّبَرِيُّ: الحُدَيْبِيَةُ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ مَكَّةَ أَكْثَرُهَا فِي الحَرَمِ. كَمَا فِي (فَتْحِ البَارِي)]

- سَادِسًا: **تَحْوِيلِ القَرَارِ إِلَى عَمَلٍ فَعَّالٍ**: كَمَا حَدَثَ فِي القِصَّةِ السَّابِقَةِ فِي يَوْمِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ.

فَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: «... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ [أَيْ: كِتَاب الصُّلْحِ بِأَنْ يَرْجِعَ هَذَا العَامَ إِلَى المَدِينَةِ وَيَعُودَ فِي العَامِ القَادِمِ لِلْعُمْرَةِ]؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا**». قَالَ: فَوَالله! مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ؛ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ الله! أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ

فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا؛ حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا،...».

- وَالوَضْعُ فِي الاعْتِبَارِ أَنَّهُ يُمْكِنُ **تَعْدِيلُ القَرَارِ** وِفْقًا لِلظُّرُوفِ وَالْمُسْتَجَدَّاتِ .. وَلِذَلِكَ يَحْتَاجُ الإِنْسَانُ إِلَى مَرْحَلَةِ (التَّقْيِيمِ) الْمُسْتَمِرِّ لِلنَّتَائِجِ، وَمِنْ خِلَالِ التَّنْفِيذِ سَتُوجَدُ الحَاجَةُ إِلَى اتِّخَاذِ العَدِيدِ مِنَ (القَرَارَاتِ الفَرْعِيَّةِ).

فَلَابُدَّ أَنْ يُحَاوِلَ الإِنْسَانُ الأَخْذَ بِأَفْضَلِ أَسَالِيبِ العَمَلِ وَاتِّخَاذِ القَرَارِ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ، وَأَيْضًا التَّرَوِّي وَإِعْطَاءِ الوَقْتِ الكَافِي لِلتَّعَرُّفِ عَلَى البَدَائِلِ الْمُتَاحَةِ وَتَطْوِيرِهَا طَالَمَا تُوجَدُ فُرْصَةٌ لِذَلِكَ.

❁ وَفِي (السِّيرةِ النَّبَوِيَّةِ) نَجِدُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِـ(التَنْظِيمِ) فِي حَيَاتِهِ: كَمَا فِي حَادِثَةِ الهِجْرَةِ؛ فَقَدْ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِكُلِّ الوَسَائِلِ المَادِيَّةِ الْمُتَاحَةِ لِإِنْجَاحِ الهِجْرَةِ:

فَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ (ح٣٩٠٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتِ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ [أَيْ: الإِسْلَامَ]، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلاَّ يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ...

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «**إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ**». وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الخَبَطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ؛ قَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا. -فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا- فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ! مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلاَّ أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ

أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ!. قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ!. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ -بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ!- إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**». [فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! عِنْدِي نَاقَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ. فَأَعْطَى النَّبِيَّ ﷺ إِحْدَاهُمَا وَهْيَ الجَدْعَاءُ] قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجَهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ (ذَاتَ النِّطَاقِ).

[(قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الفَتْحِ): ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُمَا خَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ. وَقَالَ الحَاكِمُ: تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّ خُرُوجَهُ كَانَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَدُخُولَهُ المَدِينَة كَانَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ. إِلَّا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى الخُوَارِزْمِيَّ قَالَ: إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الخَمِيسِ. قُلْتُ (أَيْ: ابْن حَجَرٍ): يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنْ خُرُوجَهُ مِنْ مَكَّةَ كَانَ يَوْمَ الخَمِيسِ وَخُرُوجَهُ مِنْ الْغَارِ كَانَ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ؛ لِأَنَّهُ أَقَامَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَهِيَ لَيْلَةُ الجُمُعَةِ وَلَيْلَةُ السَّبْتِ وَلَيْلَةُ الْأَحَدِ وَخَرَجَ فِي أَثْنَاءِ لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ]

قَالَتْ [أَيْ: عَائِشَة]: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ؛ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ [فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ: غُلَامًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ أَخُو عَائِشَةَ لأُمِّهَا] مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ [أَيْ: اِبْن الدِّيلِ بْن بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاة بْنِ كِنَانَة، وَيُقَالُ: مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُزَاعَةَ، وَوَقَعَ فِي سِيرَةِ اِبْنِ إِسْحَاقَ تَهْذِيبِ اِبْنِ هِشَامٍ اِسْمُهُ

(عَبْدُ الله بْن أَرْقُد)، وَفِي رِوَايَة الْأُمَوِيِّ عَنْ اِبْنِ إِسْحَاقَ (اِبْن أُرَيْقِد)، كَذَا رَوَاهُ الْأُمَوِيُّ فِي الْمَغَازِي بِإِسْنَادٍ مُرْسَلٍ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ؛ قَالَ: وَهُوَ دَلِيلُ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهِجْرَةِ. وَعِنْد مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ (أُرَيْقِط) بِالتَّصْغِيرِ أَيْضًا لَكِنْ بِالطَّاءِ وَهُوَ أَشْهَرُ، وَعِنْد اِبْنِ سَعْدٍ (عَبْد الله بْن أُرَيْقِط)، وَعَنْ مَالِكٍ اِسْمُهُ (رُقَيْط) حَكَاهُ اِبْنُ التِّينِ. كَمَا فِي الفَتْحِ] هَادِيًا خِرِّيتًا - وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ- قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ؛ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.

وَفِي (الفَتْحِ): فِي رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ: فَأَجَازَ بِهِمَا أَسْفَلَ مَكَّةَ [أَيَ اتَّجَهَ إِلَى الجَنُوبِ لَا إِلَى الشَّمَالِ حَيْثُ المَدِينة وَذَلِكَ لِلتَّمْوِيهِ]، ثُمَّ مَضَى بِهِمَا حَتَّى جَاءَ بِهِمَا السَّاحِلَ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفَانَ [أَيْ: غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمُعْتَادِ]، ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا حَتَّى عَارَضَ الطَّرِيقَ. وَعِنْد الحَاكِمِ مِنْ طَرِيقِ اِبْنِ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ نَحْوَهُ وَأَتَمَّ مِنْهُ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَأَخْرَجَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي (أَخْبَار المَدِينَةِ) مُفَسَّرًا مَنْزِلَةً مَنْزِلَةً إِلَى قُبَاءٍ.

❁❁❁❁❁

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا كِيَانٌ بِلَا نِظَامٍ، لِكَيْ تُشِيدَ صَرْحَكَ، وَتُقِيمَ أَمْرَكَ فَلَا مَنَاصَ مِنْ تَرْتِيبِ أَمْرِكَ، وَتَنْظِيمِ شُؤُونِكَ، وَهَكَذَا الأَمْرُ .. بُنِيَ الكَوْنُ عَلَى النِّظَامِ، وَتَعَلَّمَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَكَ ... تَعَلَّمَ وَلَوْ مِنْ خَصْمِكَ، وَلْيَكُنْ عَقْلُكَ مُتَحَمِّسًا فِي شَأْنِ الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، فَحَمَاسُ العَقْلِ لَا يَشِيبُ.

❁❁❁❁❁

نَظِّمْ أَفْكَارَكَ .. وَقُمْ بِتَرْتِيبِهَا .. وَحَدِّدْ أَيَّ هَذِهِ الأَفْكَارِ أَبْدَئُ بِهَا؟ وَأَيَّهَا الَّتِي تَلِيهَا؟ ... وَهَكَذَا!

قَامَ أُسْتَاذٌ جَامِعِيٌّ فِي قِسْمِ إِدَارَةِ الأَعْمَالِ بِإِلْقَاءِ مُحَاضَرَةٍ عَنْ أَهَمِّيَّةِ (تَنْظِيمِ وَإِدَارَةِ الوَقْتِ)؛ حَيْثُ عَرَضَ مِثَالًا حَيًّا أَمَامَ الطَّلَبَةِ لِتَصِلَ الفِكْرَةُ لَهُمْ.

كَانَ المِثَالُ عِبَارَةً عَنِ اخْتِبَارٍ قَصِيرٍ؛ فَقَدْ وَضَعَ الأُسْتَاذُ دَلْوًا عَلَى طَاوِلَةٍ، ثُمَّ أَحْضَرَ عَدَدًا مِنَ الصُّخُورِ الكَبِيرَةِ، وَقَامَ بِوَضْعِهَا فِي الدَّلْوِ بِعِنَايَةٍ؛ وَاحِدَةً تِلْوَ الأُخْرَى.

وَعِنْدَمَا امْتَلَأَ الدَّلْوُ؛ سَأَلَ الطُّلَّابَ: هَلْ هَذَا الدَّلْوُ مُمْتَلِئٌ؟

قَالَ بَعْضُ الطُّلَّابِ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُمْ: أَأَنْتُمْ مُتَأَكِّدُونَ؟

ثُمَّ سَحَبَ كِيسًا مَلِيئًا بِالحَصَيَاتِ الصَّغِيرَةِ مِنْ تَحْتِ الطَّاوِلَةِ، وَقَامَ بِوَضْعِ هَذِهِ الحَصَيَاتِ فِي الدَّلْوِ حَتَّى امْتَلَأَتِ الفَرَاغَاتِ المَوْجُودَةِ بَيْنَ الصُّخُورِ الكَبِيرَةِ. ....

ثُمَّ سَأَلَ مَرَّةً أُخْرَى: هَلْ هَذَا الدَّلْوُ مُمْتَلِئٌ؟ فَأَجَابَ أَحَدُهُمْ: رُبَّمَا؛ لَا.

اِسْتَحْسَنَ الأُسْتَاذُ إِجَابَةَ الطَّالِبِ، وَقَامَ بِإِخْرَاجِ كِيْسٍ مِنَ الرَّمْلِ، ثُمَّ سَكَبَهُ فِي الدَّلْوِ حَتَّى امْتَلَأَتْ جَمِيعُ الفَرَاغَاتِ المَوْجُودَةِ بَيْنَ الصُّخُورِ. ...

وَسَأَلَ مَرَّةً أُخْرَى: هَلِ اِمْتَلَأَ الدَّلْوُ الآنَ؟ ... فَكَانَتْ إِجَابَةُ جَمِيعِ الطُّلَّابِ بِالنَّفْيِ.

بَعْدَ ذَلِكَ أَحْضَرَ الأُسْتَاذُ إِنَاءً مَلِيئًا بِالمَاءِ، وَسَكَبَهُ فِي الدَّلْوِ حَتَّى امْتَلَأَ.

وَسَأَلَهُمْ: مَا هِيَ الفِكْرَةُ مِنْ هَذِهِ التَّجْرُبَةِ فِي اعْتِقَادِكُمْ؟

أَجَابَ أَحَدُ الطَّلَبَةِ بِحَمَاسٍ: إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ جَدْوَلُ المَرْءِ مَلِيئًا بِالأَعْمَالِ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ عَمَلَ المَزِيدِ وَالمَزِيدِ بِالجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ.

أَجَابَهُ الأُسْتَاذُ: صَدَقْتَ؛ وَلَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ الرَّئِيسُ!! .. فَهَذَا المِثَالُ يُعَلِّمُنَا أَنَّهُ لَوْ لَمْ نَضَعِ الصُّخُورَ الكَبِيرَةَ أَوَّلًا، مَا كَانَ بِإِمْكَانِنَا وَضْعَهَا أَبَدًا.

ثُمَّ قَالَ: قَدْ يَتَسَاءَلُ البَعْضُ: وَمَا هِيَ الصُّخُورُ الكَبِيرَةُ؟ إِنَّهَا هَدَفُكَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ أَوْ مَشْرُوعٌ تُرِيدُ تَحْقِيقَهُ؛ كَتَعْلِيمِكَ وَطُمُوحِكَ وَإِسْعَادِ مَنْ تُحِبُّ أَوْ أَيِّ شَيْءٍ يُمَثِّلُ أَهَمِّيَّةً فِي حَيَاتِكَ.

فَـ(الهَدَفُ) مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ التَّجْرُبَةِ الَّتِي يُعَلِّمُهَا الأُسْتَاذُ لِطَلَبَتِهِ أَنْ يَكُونَ (الإِنْسَانُ) مُنَظِّمًا لِأَفْكَارِهِ مُرَتِّبًا لَـهَا.. إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَمْلَأَ هَذَا الدَّلْوَ بِأَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الصُّخُورِ وَالرَّمْلِ وَالمَاءِ..

وَهُنَاكَ الكَثِيرُ مِنَ الأَلْغَازِ تَقُومُ عَلَى هَذِهِ الفِكْرَةِ؛ فَمَثَلًا: رَجُلٌ مَعَهُ مِعْزَةٌ وَذِئْبٌ وَبَرْسِيمٌ،

وَأَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ مَرْكَبًا يَعْبُرُ بِهِ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا فِي المَرَّةِ الوَاحِدَةِ، فَكَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ دُونَ أَنْ تَأْكُلَ المِعْزَةُ البَرْسِيمَ وَدُونَ أَنْ يَأْكُلَ الذِّئْبُ المِعْزَةَ إِذَا تُرِكَا مَعًا؟!!

يَأْخُذُ الرَّجُلُ المِعْزَةَ وَيَتْرُكُهَا عَلَى الجَانِبِ الآخَرِ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَأْخُذُ الذِّئْبَ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ، وَيَتْرُكُهُ وَيَأْخُذُ المِعْزَةَ وَيَعُودُ بِهَا وَيَتْرُكُهَا وَيَأْخُذُ البَرْسِيمَ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ وَيَتْرُكُهُ مَعَ الذِّئْبِ، وَيَعُودُ لِيَأْخُذَ المِعْزَةَ!!! فَانْظُرْ: كَيْفَ زَادَ عَدَدُ الخُطُوَاتِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ سَلِيمٍ لِلْهَدَفِ؟

❁❁❁❁❁

- حَاوِلْ أَنْ تَلْتَزِمَ بِمَا وَضَعْتَ مِنْ (أَهْدَافٍ) فِي فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ، وَكُنْ مَرِنًا أَثْنَاءَ التَّنْفِيذِ، فَقَدْ تَتَغَيَّرُ الخُطَطُ وَالأَهْدَافُ حَيْثُ تَجِدُ فُرَصًا لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِكَ أَثْنَاءَ التَّخْطِيطِ؛ فَاسْتَغِلَّهَا وَلَا تَخْشَ مِنْ أَنَّ جَدْوَلَكَ لَمْ يُنَفَّذْ بِشَكْلٍ كَامِلٍ. وَفِي نِهَايَةِ كُلِّ فَتْرَةٍ؛ قَيِّمْ نَفْسَكَ، وَانْظُرْ إِلَى جَوَانِبِ التَّقْصِيرِ فَتَدَارَكْهَا.

❁❁❁❁❁